تخفيض الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط هل هو أكثر فاعلية؟

ص7

محمد الحلبوسي زعيم السنة في العراق كما تريده إيران

ص8

لا أحد يهتم كثيرا لقتل النساء بدافع الشرف في الكويت

ص17

العرب

ص6

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2021/10/17

10 ربيع الأول 1443

السنة 44 العدد 12212

Sunday 17/10/2021

44th Year, Issue 12212

افتعال الصراعات يعيق أي مسار إصلاحي في الجزائر

النظام يستمر في سياسة الهروب إلى الأمام خوفا من عودة قوية للاحتجاجات

الجزائر – لا تتوقف السلطات الجزائرية عن افتعال الأزمات الخارجية سواء مع المغرب أو فرنسا واتهام جهات خارجية بالوقوف وراء أزماتها الداخلية، وهو ما يعيق أيّ إصلاحات في البلاد التي تعيش وضعا اقتصاديا واجتماعيا صعبا منذ سنوات.

ويقول مراقبون جزائريون إن السلطات تعتقد أنه لا بد من شد الجزائريين إلى الأزمات الخارجية لمنع التفاتهم إلى مشاكل البلاد والدخول في احتجاجات كما حصل منذ سنتين، لافتين إلى أن الجزائر من دون محيطها الإقليمي لم تنجح في القيام بأيّ إصلاحات منذ فترة الحرب الباردة، وظلت تعتمد على عائدات النفط والغاز دون تنويع لاقتصادها.

ويشير هؤلاء المراقبون إلى أن ما يقلق النظام الجزائري أن الأجيال الجديدة لم يعد يقنعها الحديث عن الثورة وشعاراتها، كما لم تعد تخيفها التحذيرات من أن تقود احتجاجاتها إلى حرب أهلية كما جرى في تسعينات القرن الماضي، ولذلك كثف النظام من اعتماده على نظرية المؤامرة واتهام جهات خارجية بالتآمر على أمن الجزائر على أمل أن يدفع الجزائريين إلى السكوت مثلما فعلوا في السابق.

ولا يفتأ النظام يستدعي خصوماته حول الذاكرة مع فرنسا أو ورقة إسرائيل من خلال حديثه عن "مؤامرة" تستهدف أمن الجزائر وركوب موجة معارضة عضويتها في الاتحاد الأفريقي من أجل جلب الرأي العام الجزائري لصفه، متناسيا أن الأجيال الجديدة لم تعد تعنيها قصص الماضي.

> **ما يقلق النظام أن الأجيال الجديدة لا تغريها شعارات الثورة، ولا تخيفها التحذيرات من سنوات جمر جديدة**

ومنذ سنوات اهتزت صورة النظام لدى الجزائريين، ليس فقط بسبب الصراع على الحكم في فترة عجز الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة، ورواج أخبار المؤامرات والصراعات داخل غرف النظام، ولكن بالأساس بسبب الأزمة الاقتصادية الحادة خاصة بعد تراجع عائدات النفط وفشل السياسة التقليدية للنظام القائمة على الإنفاق السخي لشراء السلم الاجتماعي.

وكانت الجزائر تعاني بالفعل من عجز في الميزانية في 2019 مع تآكل احتياطاتها من العملات الأجنبية بسرعة. ولم يوافق النظام المنغمس في الخلافات بين الفصائل المختلفة للسلطة على خطة خلافة الرئيس المريض. لذلك، حاول فرض ولاية خامسة لبوتفليقة، مع استمرار الحكم من وراء الستار لمحيط بوتفليقة وشقيقه السعيد.

دفعت هذه الخطوة الملايين من الشباب إلى النزول إلى الشوارع، حيث لم يعيشوا خلال الحرب الأهلية في التسعينيات على عكس آبائهم، وكانوا بالتالي محصنين ضد ادعاء النظام بأن الاستقرار تحت قبضة النظام هو أفضل ما يمكن أن تأمله الجزائر. وأصبحت الحركة الاحتجاجية على الرغم من حشدها في البداية ضد ولاية خامسة لبوتفليقة منذ ذلك الحين رفضا واسعا وسلميا للاستبداد العسكري الذي حكم البلاد منذ الاستقلال.

وعندما ارتفعت أصوات الشارع ضحّى النظام بجزء منه للبقاء على قيد الحياة، ففي أبريل 2019 قرر الجنرال أحمد قايد صالح الذي عينه بوتفليقة رئيسا لأركان للجيش قبل سنوات إقالة الرئيس من منصبه.

الاحتجاجات هاجس يؤرق السلطة

وواصل متظاهرو الحراك مسيراتهم الأسبوعية مع إبعاد بوتفليقة عن الطريق. حيث كانوا يعلمون أن الرئيس كان مجرد جزء من نظام أكبر وطالبوا بانتخابات جمعية تأسيسية لإصلاح النظام الحاكم وليس رئيسا آخر يتم اختياره خلف الأبواب المغلقة.

واستمر المأزق السياسي لأشهر، حتى فرض الجنرالات انتخابات رئاسية جديدة في أواخر 2019. وعلى الرغم من ضعف الإقبال، فقد أعاد التصويت إحياء شخصية أخرى في النظام لملء دور الرئيس، حيث جيء بعبد المجيد تبون. ومنذ 2019، رفض العديد من الجزائريين المشاركة في الانتخابات والاستفتاءات الرئاسية والتشريعية، متجاهلين محاولات النظام اليائسة كسب الشرعية.

وأعاد تبون الوجوه القديمة للنظام خاصة من القيادات العسكرية إلى صفه واستعاد بشكل كامل أسلوبه في الحكم من خلال اتهام المعارضة بأنها تنفذ مؤامرة مدعومة من الخارج لزعزعة استقرار البلاد. وألقى باللوم على المغرب في موجة حرائق الصيف التي أودت بحياة العشرات ودمرت مناطق واسعة في منطقة القبائل ذات الأغلبية البربرية.

وتسارعت وتيرة اعتقال الصحافيين والنشطاء. على الرغم من أن الوباء والكبت قمعا الاحتجاجات في 2021، إلا أن البلاد ظلت غارقة في السخط الاجتماعي مما زاد من احتمالات العودة إلى الاحتجاجات.

وفي مقارنة بأوضاع دول أفريقية فقيرة وجد الجزائريون أنفسهم خلال الصيف بلا ماء، واكتفت الدولة بإلقاء المسؤولية على الشركة الفرنسية التي تتولى مهمة توزيع الماء، وسط العديد من التساؤلات منها كيف تعجز دولة بها بعض أكبر احتياطيات الهيدروكربونات في العالم عن المحافظة على تدفق مياه الشرب من صنابيرها؟

ويقول المراقبون إن السلطات التي تخاف من موجة احتجاجات جديدة أكثر حدة بسبب تردي الوضع المعيشي للجزائريين ستعمل ما في وسعها للاستمرار في لعبة الهروب إلى الأمام، وأنها لن تتوقف عن ذلك، وإلا فتحت الباب أمام ما تخشاه من دعوات جديدة لسقوط النظام وتجدد الدعوات لانفصال منطقة القبائل.

> **إسرائيل والذاكرة.. ورقتا النظام الجزائري للتغطية على الأزمة الداخلية**
>
> ص2

إيران تعدّ الأصوات وتضبط الكتل وتمهد لتحالف المالكي والصدر

بغداد – يخوض كل من طرفي "الثنائي الشيعي" في العراق مواجهات كلامية حادة، إلا أن الحسابات الإيرانية تقول إنهما سيعودان في النهاية ليتفقا على تحالف يؤدي الى تشكيل كتلة ضخمة، وليست "أكبر" فحسب، تضم الطرفين وتضم إليهما كل الكتل الكبيرة الأخرى.

نوري المالكي الذي يتزعم تنسيقية الكتل والميليشيات الشيعية الموالية لإيران دعا المفوضية العليا للانتخابات الى إصلاح «الخلل» الذي يشوب العملية الانتخابية وعدم الميل لأيّ طرف من الأطراف السياسية المتنافسة.

فرد مقتدى الصدر زعيم كتلة "التيار الصدري" برسالة اعتبر فيها كلام المالكي "ناقصا". وقال مخاطبا المالكي إن «ما ضاع لا يعوّض بالتمسّك بالسلطة والتسلّط، فقد جرَّبَ ولم ينجح»، وأضاف أن «المُجَرَّب لا يُجَرَّب».

وأرسلت إيران مراقبين من جانبها للمشاركة في أعمال إعادة الفرز وعدّ الأصوات، وضمنت حتى الآن زيادة عدد مقاعد كتلة "دولة القانون" التي يقودها المالكي إلى 40 مقعدا وكتلة "الفتح" التي تضم الميليشيات الموالية لها إلى 20 مقعدا.

وذكرت صحيفة "تسنيم" الإيرانية النافذة إن عناصر من استخبارات الحرس الثوري يقومون بالتدقيق في نتائج إعادة الفرز لعدد من الدوائر ولباقي إجراءات الفرز اليدوي. وقالت إن "الحل لأزمة نتائج الانتخابات هو أن يتم عدّ الأصوات يدوياً بحضور ممثلي المجموعات السياسية".

وهناك وفد من فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني يشارك في المشاورات للجمع بين الكتل المختلفة. إلا أن النتائج ما تزال تضع كلا من طرفي "الثنائي الشيعي" أمام نقص عددي واضح.

فكتلة الصدر التي تملك 73 مقعدا، من الناحية المبدئية، تستطيع أن تشكل "كتلة أكبر" مع الكتلة الكردية التي تملك نحو 57 مقعدا، لتجمع 130 مقعدا. كما تستطيع كتلة المالكي أن تجمع نحو 132 مقعدا أخرى بضم كتلتي محمد الحلبوسي وخميس الخنجر التي تملك نحو 59 مقعدا الى جانب بعض المستقلين.

ولكن الحساب الأهم هو أن أيا من طرفي "الثنائي الشيعي" لا يستطيع أن يمضي بتشكيل الحكومة بمعزل عن الطرف الآخر، لأن ذلك سوف يؤدي في النهاية إلى اندلاع نزاع مسلح، لن يخرج أي منهما غالبا فيه.

وضمنت إيران لكتلة المالكي دعما من القائمتين السنيتين اللتين يقودهما الحلبوسي والخنجر لتضغط على الصدر فلا يبالغ بالسعي للانفراد بتشكيل الحكومة.

وقالت مصادر سياسية مطلعة إن إسماعيل قاآني قائد فيلق القدس اجتمع بكل من الحلبوسي والخنجر يوم الرابع من الشهر الجاري داخل السفارة الإيرانية في أنقرة بعد نهاية لقائهما مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وألزمهما بمواصلة تحالفهما مع القوى الولائية تحت إمرة نوري المالكي وهادي العامري.

عبدالحسين الهنداوي

الأمر متروك للمفوضية لاستكمال الطعون أو إعادة الانتخابات

ويمكن أن يستمر السجال نفسه حول إعادة الفرز لعدة أسابيع أو حتى أشهر. وعلى الرغم من أن المفوضية العليا للانتخابات قدمت إشارات الى أن نسبة الأصوات التي يجري فحصها لا تزيد عن 6 في المئة من مجموع الأصوات فإن تغيير نسب المقاعد يمكن أن يثير المزيد من الاعتراضات والطعون، وهو ما لا يمكن أن ينتهي إلا بأحد سبيلين: الأول، أن يكف طرفا النزاع الشيعي عن التنازع فيما بينهما، بحيث تتضاءل أمام اتفاقهما التفاصيل الصغيرة، أو أن تتم إعادة الانتخابات برمّتها. وهذا خطر يمكن أن يوقظ كل أشباح المخاوف من جديد، بما ذلك عودة الأطراف التي قررت المقاطعة إلى دخول حلبة المنافسة، فتنحسر من جديد فرص الأطراف الموالية لإيران ومعها فرص كتلة الصدر أيضا، لتبرز قوة من المستقلين و"التشرينيين".

وقال مستشار رئيس الوزراء لشؤون الانتخابات عبدالحسين الهنداوي إن "الأمر متروك للمفوضية في اتخاذ القرار بين استكمال النظر في الطعون وبين الدعوة الى إعادة الانتخابات. وإن الحكومة لا تتدخل في عمل المفوضية مطلقا".

وأكد أن دور الحكومة يقتصر على واجبين هما توفير الدعم اللوجستي للمفوضية وتوفير الظروف الأمنية المناسبة للانتخابات.

الانفصالية الإسلامية تنقل المعركة مع فرنسا من المساجد إلى مواقع التواصل

باريس – هرب المتشددون الإسلاميون في فرنسا إلى مواقع التواصل الاجتماعي لبث أفكارهم المعارضة لقيم الجمهورية، وذلك بعد تشدد السلطات في تنفيذ الإجراءات التي اتخذتها لمنع توظيف المساجد في الدعاية والاستقطاب لفائدة المجموعات المتطرفة وهي ما تصفها الحكومة الفرنسية بالانفصالية الإسلامية.

وقالت وزارة الداخلية الفرنسية إن "غالبية" المضامين المتعلقة بالإسلام على شبكات التواصل الاجتماعي في فرنسا "ترتبط بالمجال السلفي وتندرج ضمن التطرف الإسلامي، وهي بعيدة جداً عن المجال الروحي"، وهو ما ينقل عبئا جديدا على كاهل السلطات التي تريد تحييد الجالية عن معركتها مع المتشددين.

ويمتلك الإسلاميون المتشددون نفوذا كبيرا على مواقع التواصل مستفيدين من الهامش الكبير للحرية الذي توفره هذه المواقع، وقدرتهم على استقطاب شباب الجالية مستفيدين من أوضاعه الاجتماعية.

ورصدت "وحدة الخطاب الجمهوري المضاد" التي تم إنشاؤها في فرنسا لمحاربة التطرف الإسلامي بعد مقتل أستاذ التاريخ والجغرافيا صامويل باتي في السادس عشر من أكتوبر 2020، حوالي عشرين من مؤلفي المحتوى الناطقين بالفرنسية – أشخاص أو منظمات – "ناشطين بشكل خاص"، باعتبارهم ناشرين رئيسيين لخطاب يدعو إلى الكراهية و"يتحدرون من الحركات الانفصالية"، بحسب ما أفاد مصدر في الوزارة الجمعة.

وقالت وزيرة المواطنة الفرنسية مارلين شيابا الجمعة للصحافيين "عزز مقتل صامويل باتي الشعور بضرورة التحرك على مواقع التواصل الاجتماعي"، في إشارة إلى الحملة ضد المعلم على الإنترنت بالاستناد إلى معلومات كاذبة أدلت بها طالبة في مدرسته.

وأضافت شيابا "يجب علينا الرد على هذه الخطب" و"مساعدة الشباب الذين يطّلعون على معلومات خاطئة في شبكات التواصل الاجتماعي على ممارسة إرادتهم الحرة من خلال إنتاج محتوى نظيف يروّج لقيم الجمهورية".

ويتمثل دور "وحدة الخطاب الجمهوري المضاد"، وهو فريق مكون من حوالي خمسة عشر عضواً، في "المراقبة" و"الرد على المحتوى المتطرف" وتوفير التعليم عبر منشورات على تويتر وفيسبوك وإنستغرام وتيك توك.

مارلين شيابا

علينا الرد على خطب المتشددين في مواقع التواصل

وأكدت وزارة الداخلية على أنه "من الضروري الوصول إلى الأجيال الجديدة ولكن أيضاً الأجيال الأخرى، لأن الجميع اليوم يكوّنون أراءهم عبر الشبكات".

ويتركز عمل الوحدة على "التهديد الضاغط للتطرف الإسلامي" و"الأشكال الأخرى للانفصالية"، مثل اليمين المتطرف.

ويعتقد المراقبون أن السلطات الفرنسية لا تستطيع لوحدها أن تواجه الانفصالية الإسلامية على مواقع التواصل، وأنها تحتاج إلى خبراء في الجماعات المتطرفة لمواجهتها من داخل المنظومة الدينية الإسلامية، ومنعها من استثمار الموقف الفرنسي وكأنها استهداف للدين وليس للمتشددين.

وكان النواب الفرنسيون قد نجحوا بعد أخذ ورد في إقرار نص "احترام مبادئ الجمهورية" الذي اعتبر كعلاج لـ"سيطرة الإسلاميين" على المجتمع، وليتم اعتماده كوثيقة مرجعية في مواجهة التشدد.

وواجه هذا النص هجوما شديدا من المتشددين في فرنسا، فضلا عن حركات متطرفة في العالم الإسلامي، ومن قيادات مثل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

ويقول الفرنسيون إن المساجد لا تعبّر عن قيم فرنسا وتقاليدها، وإنها واجهة لمعارك دينية وسياسية خارجية خاصة في ظل وجود تمويل مباشر لبعض المساجد من دول شرق أوسطية.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

إسرائيل والذاكرة.. ورقتا النظام الجزائري للتغطية على الأزمة الداخلية

مساع حثيثة لخلق روابط معادية بين قوى داخلية وعواصم إقليمية

تحول ملف الذاكرة الذي فاقمته تصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الأخيرة إضافة إلى عداء إسرائيل إلى ورقتين في يد النظام الجزائري لامتصاص غضب الشارع الرافض للسلطة القائمة، وللتغطية على فشله في إدارة الأزمات التي ترزح تحتها البلاد.

الجزائر - حوّلت السلطة الجزائرية ورقة الذاكرة التاريخية وإسرائيل إلى خطاب شعبوي لاستعطاف الرأي العام والتغطية على أزمة داخلية تتخبط فيها منذ سنوات، فبعدما عجزت عن تجديد نفسها بما يتوافق مع تطلعات الجزائريين إلى نظام سياسي ديمقراطي يكفل الحقوق الأساسية والتداول السلمي على السلطة، تلجأ إلى المزايدة واستغلال الورقتين لربح المزيد من الوقت على أمل استمالة الشارع الحاسم في مواقفه من القضيتين المذكورتين.

ورفعت السلطة الجزائرية من سقف عودة علاقاتها مع فرنسا إلى وضعها الطبيعي إلى مستوى غير مسبوق، واشترط الرئيس عبدالمجيد تبون عودة السفير الجزائري إلى باريس بمراجعة صريحة لمواقفها تجاه الجزائر والخروج من النظرة النمطية، حيث قال لوسائل إعلام محلية "على ماكرون أن ينسى أن الجزائر مستعمرة قديمة لبلاده إذا أراد علاقات ندية ومصالح مشتركة محترمة".

> **ملف الذاكرة التاريخية وإسرائيل دخلتا في خطاب شعبوي رسمي في الجزائر يعمل على خلق أعداء من الخارج والداخل**

وعلى غير العادة أصدرت وزارة الاتصال الجزائرية السبت عشية إحياء ذكرى مجازر السابع عشر من أكتوبر 1961 بيانا جددت فيه الموقف الجزائري تجاه الذاكرة، رغم أن الأمر كان يندرج سابقا في الشأن الفرنسي الداخلي لما يتعلق الأمر بالأحداث المذكورة، وهو ما يجسد التحول اللافت للنظام الجزائري في هذا المجال، ويكرس التوظيف غير الطبيعي للتاريخ في إدارة العلاقات مع الفرنسيين.

وذكرت وزارة الاتصال بأن "الجزائر ستلاحق فرنسا إلى أن تعترف بمسؤولياتها كاملة عن كل الجرائم التي اقترفتها خلال فترة الاستعمار، وأن مجازر السابع عشر من أكتوبر 1961 هي جزء من الحفاظ على الذاكرة والدفاع عنها والذي يعد واجبا مقدسا".

ورغم أن التصريحات المثيرة التي أدلى بها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون خلال الأسابيع الماضية تضمنت العديد من المسائل على غرار هيمنة العسكر على السلطة في الجزائر، ووقوع الرئيس تبون رهينة بين أيدي ما أسماه بـ"النظام الصلب" في إشارة إلى الجيش، وعلى النظرة والموقف الجزائري المتباين تجاه التواجد الفرنسي والتركي على الأراضي الجزائرية، إلا أن الخطاب الرسمي في الجزائر حوّل الأنظار كلها إلى التفصيل المتعلق فقط بالذاكرة الجماعية، لما قال ماكرون "لم أعرف الأمة الجزائرية قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر"، وتجاهل باقي التصريح.

وأشارت وزارة الاتصال في بيانها إلى أن "التعريف بهذه المحطات التاريخية الخالدة يعد واجبا وطنيا، والحفاظ على الذاكرة والدفاع عنها يعد واجبا مقدسا سنلاحق به فرنسا اليوم وكل يوم إلى أن تعترف بمسؤولياتها كاملة، وتلتزم بتحمل تبعات كل الجرائم التي اقترفتها ضد الأمة الجزائرية الأصيلة وشعبها الأبي".

ودخلت الذاكرة التاريخية وإسرائيل في إطار خطاب شعبوي رسمي في الجزائر يعمل على خلق أعداء من الخارج والداخل من أجل حشد الشارع لمعركة تغنيه عن الأزمة الحقيقية التي تتخبط فيها البلاد خلال السنوات الأخيرة على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولم يكفل سيناريو تغيير واجهة النظام عبر مؤسسات مدنية جديدة ردم الهوة السحيقة بين الشارع والسلطة، والتي تجسدت بشكل لافت في رفض الجزائريين للانخراط في خارطة طريق السلطة، وعبروا عن ذلك بالعزوف والمقاطعة القوية للاستحقاقات الانتخابية الأخيرة.

وفيما يجري التسويق لأخطار خارجية تهدد أمن واستقرار البلاد انطلاقا من باريس وتل أبيب والرباط، يجري خلق روابط داخلية تمهيدا لفرض حالة استثنائية في البلاد بدعوى محاربة تنظيمي "ماك" و"رشاد" اللذين صنفا كحركتين إرهابيتين وتم الإعلان عن "تفكيك عدد من الخلايا المنضوية تحتهما".

وكان الرئيس تبون قد صرح لوسائل إعلام محلية بأن "أدلة وقرائن دامغة توصلت إليها المصالح المختصة تفيد بضلوع الرباط وتل أبيب في أعمال عنف وتخريب أهمها موجة الحرائق التي طالت منطقة القبائل خلال الصائفة الماضية"، وهو ما يؤكد أن القطيعة المستجدة بين البلدين الجارين مرشحة لأن تكون طويلة الأمد، وأنه لا نية للجزائر التي رفضت مختلف الوساطات للعودة إلى الوضع السابق على الأقل.

وتعمل الجزائر على إيجاد روابط بين ما تصفه داخليا بـ"التنظيمات الإرهابية" وتقصد بها حركتي "ماك" و"رشاد" وبين أنظمة وعواصم إقليمية أدرجتها في خانة الدول المعادية، خاصة بعد ما أسماه تبون بـ"ضلوع المغرب ورفض باريس تسليمها زعيم الحركة الانفصالية البربرية المقيم في باريس فرحات مهني"، كما دخلت بقوة على خط دعم القضية الفلسطينية، وتقود حاليا مساعي حثيثة داخل الاتحاد الأفريقي لرفض قبول عضوية إسرائيل كمراقب في الهيئة المذكورة.

وصرح في هذا الشأن وزير الخارجية رمطان لعمامرة بأن بلاده "دافعت رفقة العديد من دول الاتحاد الأفريقي عن المصلحة العليا لأفريقيا التي تتجسد في وحدتها وتماسك شعوبها من خلال رفض منح إسرائيل صفة المراقب في الاتحاد الأفريقي".

وأضاف بأن "النقاش الذي دام ساعة بين وزراء الخارجية الأفارقة حول القضية المثيرة للجدل قد سلط الضوء على الانقسام العميق بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأفريقي، وأن اقتراح نيجيريا الذي تم وضعه مع الجزائر والذي يهدف إلى إعادة الوضع إلى ما كان عليه على الفور، لم تقبله أقلية ناشطة ممثلة بالمغرب وبعض حلفائه المقربين، بما في ذلك جمهورية الكونغو الديمقراطية التي ضمنت موقفا متحيزا بشكل خاص".

ملف الذاكرة يغطي على إخفاقات النظام الجزائري

مرونة حمدوك تضاعف من ضغوط المدنيين والعسكريين على حكومته

الخرطوم - ضاعف تظاهر الآلاف من السودانيين في الخرطوم ووصولهم إلى القصر الجمهوري ومقر مجلس الوزراء السبت من حجم الصعوبات التي تمر بها المرحلة الانتقالية، ووضع حملا ثقيلا على رئيس الحكومة عبدالله حمدوك الذي تحلى بالمرونة في خطاب ألقاه مساء الجمعة وحاول من خلاله تجسير الهوة السياسية بين المدنيين والعسكريين.

وطالب المتظاهرون بحل الحكومة وتشكيل أخرى بديلة وتوسيع قاعدة المشاركة فيها واستكمال هياكل الفترة الانتقالية من محكمة دستورية ومجلس القضاء والمفوضيات الواردة المنصوص عليها في الوثيقة الدستورية، وهو ما وصفوه بـ"استعادة الثورة من مختطفيها" في إشارة إلى الأحزاب المسيطرة على قوى الحرية والتغيير.

ورفع المتظاهرون مطلبا يتعلق بإقالة رئيس الحكومة الذي لم يخل خطابه الأخير من مخاوف بشأن تحول المسيرات السلمية إلى احتجاجات وصدامات مسلحة، في ظل مساعي المتظاهرين للاعتصام أمام مجلس الوزراء للضغط عليه لحل حكومته، واتهام بعض المؤيدين له بأنه يبدو ليّنًا أكثر من اللازم.

وتداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي رسائل مسربة عن خطة تقوم على خلق الفوضى وتنفيذ عمليات قتل وحرق وتخريب لتهيئة الظروف المناسبة لإعلان حالة الطوارئ في البلاد، ما جعل كثيرين لا يستبعدون حدوث صدامات.

وحاول حمدوك القفز على أهداف المتظاهرين بتأكيده على ضرورة وقف التصعيد من قبل كل الأطراف، والتخفيف من حديث الأزمة المتداول بين العسكريين والمدنيين، وإنكار أنها تدور بينهما أصلا بقوله "هي بين معسكر الانتقال المدني الديمقراطي ومعسكر الانقلاب على الثورة ومن يريدون عرقلتها"، واستهدف الفصل بين مطالب المنشقين عن تحالف الحرية والتغيير وبين مطالب فلول النظام البائد.

وطرح مبادرة جديدة للخروج من المأزق الحالي لم تختلف كثيرا عما طرحه من قبل وإن تحدث هذه المرة بشكل صريح عن استجابته لمطالب توسيع قاعدة المشاركة في هياكل السلطة، مطالبا بـ"عودة عمل جميع مؤسسات الانتقال ووضع الخلافات في موضعها الصحيح، والابتعاد عن اتخاذ قرارات وخطوات أحادية وعدم استغلال أجهزة الدولة، وإنهاء كل أنواع الشقاق بين مكونات قوى الحرية والتغيير كافة".

وعمد حمدوك في خطاب مفاجئ جاء بعد يوم واحد من رفضه حل حكومته عدم الدخول في صراعات مباشرة مع المكون العسكري، وألقى مسؤولية ما يحدث على "تعذر الاتفاق على مشروع وطني بين قوى الثورة والتغيير"، وحمّل الجميع المسؤولية دون الرد على ملف تجميد العسكريين لبعض مؤسسات السلطة.

ولم يكتف بذلك، بل بعث برسائل تؤكد أنه طرف في المعادلة لا يكمن تجاوزه إلى جانب قوى الحرية والمكون العسكري والحركات المسلحة، وأنه "ليس طرفا محايداً في الصراع أو وسيطاً، وينحاز بكل صرامة وبشكل كامل للانتقال المدني الديمقراطي".

وقوبلت كلمات الرجل بتباين واسع بين المراقبين، فهناك من يرون أنه يريد الحفاظ على حضوره كطرف مستقل في توازنات سلطة الانتقال ويسعى للقيام بدور يتماشى مع الثقل الدولي الذي يحظى به، باعتبار أن موقفه لتسوية الأزمة يتوافق مع تقديرات قوى دولية تدعم السودان لعبور المرحلة الانتقالية.

في حين ذهب آخرون للتأكيد أن مرونته تستهدف أن يظل طرفاً تتوافق عليه كافة الكتل والمكونات السياسية والعسكرية بما يدعم استمراره في منصبه حتى نهاية الفترة الانتقالية، وفي تلك الحالة لن يستطيع حسم الخلاف المتصاعد، وأن حديثه عن الانحياز للانتقال الديمقراطي بحاجة إلى ترجمته على الأرض في شكل قرارات حاسمة توقف تغوّل العسكريين على مهام المكون المدني.

وأوضح أستاذ العلوم السياسية بجامعة أفريقيا العالمية في الخرطوم محمد صديق خليفة أن خطاب حمدوك لم يُجب عن الأسئلة المطروحة على الساحة وفي مقدمتها أسباب اشتعال أزمة شرق السودان وكيفية التعامل معها، ولم يتطرق إلى أي حلول يمكن أن تسهم في حسمها، وترك ملف الأزمة مفتوحا دون أمد زمني للحل.

وأشار في تصريح لـ"العرب" إلى أن رئيس الوزراء يضع في اعتباره إمكانية الإطاحة به بإيعاز من المكون العسكري حال دخل في صدامات مباشرة وعلنية مع خصومه، ويسعى ليظل رئيسًا للحكومة بعد أن بدأ طريق الإصلاح الاقتصادي وتجاوز الكثير من مطبات الفترة الانتقالية ويخشى أن يذهب كل ما قام به هباء، لذلك اختار السير على الحبال الشائكة إلى حين وجود سلطة منتخبة.

محمد صديق خليفة

خطاب حمدوك لم يُجب عن الأسئلة المطروحة على الساحة

ولدى العديد من القوى المنضوية تحت لواء الحرية والتغيير مخاوف من الإمعان في استعداء المكون العسكري بشكل كامل لإدراكهم بأهمية دوره في الحفاظ على تماسك البلاد ومنع انفراطها إذا خرجت التظاهرات عن نطاق السيطرة.

ويقول مراقبون إن الذهاب إلى مرحلة القطيعة الكاملة يعني تفكيك الشراكة بشكل نهائي والوصول إلى نقطة الصفر، خاصة بعد أن فقد التعاون جزءًا كبيراً من الزخم الشعبي الذي قاد الشريكين ليكونا على رأس السلطة عقب الإطاحة بنظام عمر البشير.

وأعلنت قوى الحرية والتغيير عن دعمها لرئيس الوزراء واعتبرت أن الأزمة الحالية تقف خلفها قيادات عسكرية ومدنية محدودة تهدف إلى إجهاض كل إنجازات الثورة، وسيتصدى لها الشعب وقوى الثورة والتغيير من مدنيين وعسكريين.

في المقابل ترى قوى مدنية أخرى يقودها الحزب الشيوعي وتجمع المهنيين أن الاستمرار في خطابات المهادنة التي اعتاد عليها رئيس الوزراء وتبدو في مرات عديدة دبلوماسية أكثر من اللازم لن يخدم التحول الديمقراطي.

ووسط التباعد الحاصل بين القوى المختلفة بات شبح الفوضى يطل برأسه على السودان، لأن المسافات لا تزال متباعدة، وفكرة التوافق تتراجع حظوظها مع إصرار كل طرف على تغليب رؤيته على حساب الآخرين.

ويعتقد متابعون أن المرونة الزائدة في أوضاع انتقالية حرجة قد تتحول إلى سيولة سياسية وأمنية، ما يضر بالوثيقة الدستورية التي حددت مهام الانتقال وتتطلب حسما في التعامل مع أي تجاوزت تستهدف الانقضاض على ما جاء فيها.

المرحلة الانتقالية في خطر

تعدد مسؤوليات وزراء حكومة عزيز أخنوش يثير جدلا في المغرب

محمد ماموني العلوي

الرباط - أثار تعدد مسؤوليات البعض من أعضاء الحكومة المغربية الجديدة جدلا في البلاد، وذلك أعقاب استقالة نبيلة الرميلي من وزارة الصحة بعد أيام قليلة من تعيينها على رأسها بسبب جمعها بين منصب الوزارة وعمدة مدينة الدار البيضاء، حيث برزت أصوات تلح على تعديل قانون تنظيم أشغال الحكومة.

ولم يحسم القانون المتعلق بتنظيم وتسيير أشغال الحكومة والوضع القانوني لأعضائها الجمع بين منصبي وزير ورئيس جماعة، حيث كان حزب الاستقلال قد تقدم بمقترح قانون لتغيير المادة 32 من القانون التنظيمي وذلك بهدف توسيع حالات التنافي لتشمل العضوية بالحكومة ورئاسة أي جماعة ترابية أو غرفة مهنية.

وأوضح حمزة أندلوسي الباحث في العلوم السياسية والقانون الدستوري أنه "قانونيا ليس هناك ما يمنع الجمع ما بين المهمة الوزارية ورئاسة الجماعة الترابية إلا إذا منع القانون الجمع بين رئاسة الأخيرة وتولي منصب وزاري بموجب القانون التنظيمي المتعلق بتنظيم أشغال الحكومة".

واستدرك الباحث المغربي في حديثه لـ"العرب" أنه "يجب على الحكومة إعادة النظر في مقتضيات حالات التنافي وإدراج رئاسة الجماعات الترابية الأخرى ضمنها ذلك أن التمثيلية الترابية لم تعد مهمة ثانوية بل لها من الإكراهات ما يتجاوز أحيانا مشاكل القطاع الحكومي كالعلاقات مع البرلمان، وعليه من أجل حوكمة جيدة يجب إعادة النظر في النص التشريعي لتجاوز هذا الإشكال".

ولم يعد بالإمكان الجمع بين صفة رئيس لإحدى المدن الـ13 الكبرى والعضوية في مجلس النواب أو مجلس المستشارين، ويتعلق الأمر بكل من طنجة وتطوان ووجدة وفاس ومكناس والعاصمة الرباط وسلا وتمارة والقنيطرة والدار البيضاء ومراكش وآسفي وأغادير.

لكن في المقابل حسم المشرع المغربي في تنافي الجمع بين رئاسة الجهة ورئاسة الحكومة، ورئاسة الإقليم مع رئاسة الجماعة، بهدف التفرغ لمهمة انتخابية واحدة كي تكون المردودية جيدة والحؤول دون تعدد التعويضات، ولفت مراقبون إلى ضرورة تكريس هذا القانون على كافة المسؤوليات في كل مؤسسات الدولة.

حمزة أندلوسي

على الحكومة إعادة النظر في مقتضيات حالات التنافي

وأوضح بيان للديوان الملكي أن الإعفاء طبقا لأحكام الفصل 47 من الدستور جاء بناء على ملتمس تقدمت به الرميلي قصد التفرغ الكامل لمهامها كرئيسة لمجلس مدينة الدار البيضاء بعدما تبين لها حجم العمل الذي تتطلبه منها هذه المهمة التمثيلية، وما تقتضيه من متابعة مستمرة لقضايا سكانها وللمشاريع المفتوحة بهذه المدينة الكبرى، مما سيؤثر على الالتزامات الكثيرة والمواكبة اليومية التي يستوجبها قطاع الصحة، لاسيما في ظروف الجائحة.

من جهته أكد عزيز أخنوش رئيس الحكومة أن سبب إعفاء الرميلي يعود إلى أنها "اعتبرت أن الملفات الموضوعة على طاولة المجلس الجماعي لمدينة الدار البيضاء هي ملفات كبرى وأولوية، تسترعي التفرغ إليها بشكل كامل والإشراف عليها بشكل متواصل".

وهناك من يرجع إعفاء الوزيرة من منصبها قبل مباشرة عملها إلى تأثير الحملة التي انطلقت على وسائل التواصل الاجتماعي قبل أيام بالعاصمة الاقتصادية للمغرب، تحت شعار "الدارالبيضاء محتاجة إلى عمدة متفرغة لمشاكلها".

وشدد أصحاب الحملة في هاشتاغ أطلق على موقع فيسبوك تحت عنوان "كازا_لي_بغينا"، أنه "لا يمكن للرميلي الجمع بين مسؤوليتين جسيمتين كوزارة الصحة وعمدة مدينة كبرى كالدار البيضاء"، داعين الوزيرة التجمعية إلى الاستقالة فورا من منصب عمدة العاصمة الاقتصادية.

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

الحوثيون عقبة افتراضية في المحادثات بين الرياض وطهران

السعودية كسبت مجددا موقفا أميركيا داعما لها في اليمن

بالرغم من أن التفاؤل الذي تبديه السعودية وإيران حيال المحادثات الجارية بين الطرفين، فإن الأوضاع على الأرض تقول عكس ذلك، حيث تبعث التطورات في اليمن برسائل تفيد بأن الحوثيين المدعومين من طهران لا يزالون عقبة افتراضية في محادثات طهران والرياض.

التحالف يصعّد عملياته ضد الحوثيين

واشنطن – وصف وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان المحادثات مع إيران بأنها "تستمر في أجواء ودية". ولكن المؤشرات على الأرض تقول إنها تندفع في اليمن لتكشف عن وضع ليس للودية فيه أي مكان.

فورقة الحوثيين التي تستخدمها طهران ضد الرياض لا تزال مصدر صداع لا يبدو أنه يوشك على النهاية في أي وقت قريب.

ومع إعلان العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز عن تكليف الفريق أول مطلق بن سالم بن مطلق الأزيمع بقيادة عمليات القوات المشتركة في اليمن، غداة سقوط مديرية العبدية في محافظة مأرب، فقد اعتبرت جماعة الحوثي الأمر بمثابة انتصار جديد لها.

وجاء الرد السعودي عنيفا بمستوى أعلى من المعتاد، حيث شنت طائرات التحالف العربي حوالي أربعين غارة ضد ميليشيات الحوثي في العبدية أسفرت عن مقتل نحو 160 من أفرادها وتدمير العشرات من آلياتها، إلا أن ذلك لم يغير شيئا من الواقع، حيث حقق الحوثيون تقدما ميدانيا من شأنه أن يُنغّص على "ودية" المحادثات مع إيران.

> الرياض وواشنطن عادتا وفقا لمراقبين إلى الوقوف على أرض واحدة تجاه المحادثات مع إيران وتجاه الحرب في اليمن

وبينما كان الأمير بن فرحان يجري محادثات في واشنطن مع وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن قصد رأب الصدع بين الطرفين، وإعادة ترتيب علاقات التحالف بينهما، فقد احتلت اليمن وإيران مركزا مهما في المحادثات.

وقال مراقبون في واشنطن إن السعودية عادت لتكسب موقفا أميركيا داعما لها في اليمن، مع تأكيد بلينكن على التزام الولايات المتحدة بالدفاع عن السعودية. وهو ما يمكن أن يوفر للرياض الفرصة لتصعيد عملياتها العسكرية بعد تراجع ملموس، منذ أن أعلنت مبادرة لوقف إطلاق النار والبدء بمحادثات سياسية لحل الأزمة في مارس الماضي.

ولئن فشلت المبادرة في إقناع الحوثيين بقبول الأخذ بمسار السلام، فذلك لأن إيران كانت هي التي اتخذت القرار وتعمدت تزويد الحوثيين بالمزيد من الطائرات المسيرة والصواريخ لمهاجمة السعودية.

ويقول خبراء في شؤون العلاقات الأميركية السعودية، إن تلك المبادرة جاءت بسبب الضغوط التي تعرضت لها الرياض من جانب إدارة الرئيس جو بايدن.

وفشلت المبادرة لأن إدارة بايدن كانت تراهن على إقامة جسور مع إيران من خلال مباحثات فيينا، مما شجع طهران على دفع الحوثيين للمزيد من التصعيد.

وانتهى الأمر إلى فشل آخر، وهو أن إيران لا تزال تقطع الطريق عن استئناف مباحثات فيينا، من دون أن تحدّ من توجيه الضربات إلى السعودية.

واللقاء الذي جمع بين الأمير بن فرحان والوزير بلينكن، جاء هو الآخر على أساس فشل ثالث بين الطرفين، وذلك عندما لم يتمكن مستشار الأمن القومي جاك سوليفان، خلال زيارته للسعودية في التاسع والعشرين من سبتمبر الماضي، من إقناع الرياض بأنه لا يزال من الممكن للولايات المتحدة أن تلعب دورا في الدفاع عن السعودية.

وقالت مصادر سعودية خاصة إن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان تعامل مع سوليفان بجفاء ملحوظ، منتقدا ما اعتبره مواقف لا تنسجم مع روح الشراكة الاستراتيجية بين البلدين، إلا أن المحادثات لم تمنع من التوصل إلى توافق مبدئي يقضي بدعم المبادرة السعودية لوقف النار في اليمن، والضغط على الحوثي عسكريا إذا امتنع عن القبول بها.

ولم تأت الإشارات بشأن الردّ الأميركي حول ما يمكن أن تضمنه محادثات الأمير محمد بن سلمان وسوليفان من البيت الأبيض إلا قبل أيام من لقاء الوزيرين بن فرحان وبلينكن.

وعادت الرياض وواشنطن بحسب المراقبين، إلى الوقوف على أرض واحدة تجاه المحادثات مع إيران من جهة، وتجاه الحرب في اليمن من جهة أخرى.

وكلاهما يرى أن الحوثيين هم مجرد عقبة افتراضية في المحادثات بين السعودية وإيران، يمكن التغلب عليها، سواء عبر الوسائل الدبلوماسية أو عبر الضغط العسكري. في حين أن الشأنين الأهم: الأول هو ما إذا كانت إيران عازمة على التوصل إلى اتفاق أمني شامل يوقف الاعتداءات من جانب كل الميليشيات التابعة لها، بما فيها الحوثيون، ويضمن أمن الملاحة في الخليج. والثاني هو ما إذا كانت إيران تعتزم القبول بما تم عرضه عليها في الجولة السادسة من محادثات فيينا بشأن برنامجها النووي.

التحالف العربي يُكبّد الحوثيين خسائر فادحة

الرياض – أعلن التحالف العربي الذي تقوده السعودية في اليمن السبت عن مقتل 160 متمردا يمنيا في غارات جديدة جنوب مدينة مأرب الاستراتيجية، بينما أفادت مصادر حكومية بتحقيق الحوثيين تقدما في المنطقة ذاتها رغم الخسائر البشرية الكبرى في صفوفهم.

وأفاد التحالف في بيان أنّه نفّذ 32 "عملية استهداف" خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية أدّت إلى تدمير 11 آلية عسكرية "وخسائر بشرية تجاوزت 160 عنصرا إرهابيا" في العبدية على بعد حوالي 100 كيلومتر جنوب مأرب التي يحاول الحوثيون السيطرة عليها منذ أشهر.

وصعّد الحوثيون في فبراير عملياتهم العسكرية للسيطرة على مدينة مأرب، آخر معاقل الحكومة المعترف بها في شمال البلاد.

وأوقعت المعارك منذ ذلك الوقت مئات القتلى من الجانبين وتسببت بنزوح أكثر من 55 ألف شخص من منازلهم منذ مطلع العام الحالي، على ما أعلنت المنظمة الدولية للهجرة التابعة للأمم المتحدة الخميس.

ويحاول التحالف منع المتمردين من الوصول إلى مدينة مأرب. وفي خلال أسبوع، أعلن التحالف عن مقتل أكثر من 700 من المتمرّدين في مديرية العبدية وحدها. ولم يعلن التحالف كيف أحصى هذه الأعداد فيما لا يفصح الحوثيون عن خسائرهم.

ورغم الخسائر البشرية، أفاد مسؤولون في القوات الحكومية في مأرب بأن المتمردين حققوا تقدما في العبدية في الساعات الماضية.

وقال أحد المسؤولين إنّ الحوثيين باتوا "في مركز مديرية العبدية بعد حصار دام أربعة أسابيع"، متّهما المتمردين بارتكاب "جرائم خطف وتنكيل" بحق القبائل التي تتعاونت مع الحكومة.

وتحدّث المسؤول العسكري عن مقتل "قرابة عشرين شخصا من القوات الحكومية والقبائل الموالية لها بالإضافة إلى جرح 47 آخرين" في الساعات الأربع والعشرين الماضية، وهي حصيلة أكّدها مسؤول عسكري آخر.

ومن جهته، أكّد المتحدث باسم المتمردين محمد عبدالسلام على تويتر دخول مركز العبدية، قائلا إنّ المواجهات هي "مع عناصر تكفيرية ذات علاقة بـ(تنظيم) القاعدة وداعش (تنظيم الدولة الإسلامية) ومرتبطة بقوى العدوان" في إشارة إلى السعودية والتحالف الذي تقوده.

وفي السياق ذاته، اتّهم وزير الإعلام اليمني معمر الأرياني المتمردين بقصف منازل المديرية "بالصواريخ الباليستية وقذائف الهاون ومختلف أنواع الأسلحة".

ويدور النزاع في اليمن بين حكومة يساندها منذ العام 2015 تحالف عسكري تقوده السعودية، والمتمردين الحوثيين المدعومين من إيران والذين يسيطرون على مناطق واسعة في شمال البلاد وغربها وكذلك على العاصمة صنعاء منذ 2014.

وأسفر النزاع عن مقتل عشرات الآلاف من الأشخاص، بينهم الكثير من المدنيين، وفق منظمات إنسانية عدة.

وما زال نحو 3.3 مليون شخص نازحين بينما يحتاج 24.1 مليون شخص أي أكثر من ثلثي السكان، إلى المساعدة، وفق الأمم المتحدة التي أكدت مرارا أن اليمن يشهد أسوأ أزمة إنسانية في العالم حاليا.

والخميس، دعت الأمم المتحدة إلى إنهاء القتال في منطقة مأرب لتتمكن من تقديم المساعدات الإنسانية الضرورية للسكان المدنيين وخصوصا النازحين.

وقال ديفيد غريسلي منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية للحملة في البيان "أدعو جميع الأطراف المشاركة في القتال إلى الاتفاق الآن على وقف القتال في منطقة العبدية".

أحداث الطيونة تهدّد بشلل حكومي وبالمزيد من التدهور في لبنان

بيروت – تُنذر أحداث الطيونة الدامية التي شهدها لبنان بشلل حكومي والمزيد من التدهور في البلد وسط تحذيرات من السقوط في المجهول.

وما كاد لبنان يتنفس الصعداء بتشكيل حكومة بعد 13 شهرا من التعثر، حتى تفجّرت أزمة جديدة تحمل طابعا سياسيا من جهة، وأمنيا من جهة أخرى، وهي أحداث الطيونة.

وبدأت الشرارة الأولى داخل مجلس الوزراء الثلاثاء بعد خلاف حول التحقيقات في قضية انفجار مرفأ بيروت، وسرعان ما تفجّر الوضع في الشارع، ووقعت مواجهة في شارع "الطيونة" بالعاصمة بيروت أسفرت عن سقوط قتلى وجرحى.

والأزمة المستجدة تهدّد بتعطيل عمل الحكومة، وقد ظهرت ملامح ذلك الأربعاء، عندما تأجلت جلسة مجلس الوزراء إلى أجل غير مسمى؛ وفي اليوم التالي اهتز الأمن في الشارع ما عقّد المشهد أكثر.

والخلاف برز عندما طالب الوزراء المحسوبون على جماعتي "حزب الله" و"حركة أمل" (الشيعيتين) وتيار "المردة" (مسيحي) ببحث ملف التحقيقات في انفجار مرفأ بيروت وتنحية المحقق العدلي القاضي طارق البيطار.

وتقول تلك القوى إن التحقيقات التي يجريها البيطار "مسيّسة" وتطالب بكف يده، حيث صرح أمين عام "حزب الله" حسن نصرالله في أكثر من مرة، بأن تحقيقات البيطار مسيّسة ولا توصل إلى الحقيقة.

وتُرجم الاحتقان السياسي إلى تصعيد أمني خطير في الشارع، حيث وقعت الخميس اشتباكات مسلحة في شارع الطيونة الواقع بين منطقتي الشياح ذات الأغلبية الشيعية، وعين الرمانة ـ بدارو ذات الأغلبية المسيحية، أسفرت عن مقتل 7 أشخاص وإصابة 32 آخرين.

واتهمت جماعتا "حزب الله" و"حركة أمل"، "مجموعات مسلحة" تابعة لحزب "القوات اللبنانية" (مسيحي)، بقتل وجرح مؤيدين لهما خلال تظاهرة منددة بقرارات البيطار، وهو ما نفته "القوات" ووصفت الاتهامات بـ"الباطلة".

ويقول المحلل السياسي توفيق شومان، إن التشنج السياسي داخل الحكومة والأحداث الدامية في الشارع سيؤديان إلى شلل عمل مجلس الوزراء.

ويضيف أنه من غير المعروف ما إذا كان مجلس الوزراء سيعقد اجتماعه شبه الدوري الأسبوع المقبل، في ظل التشنج والاحتقان في البلاد.

انزلاق خطير نحو الفوضى

ويزيد تعطل الحكومة من تردي الأوضاع في البلاد، بسبب تأخّرها في إنجاز ملفات أساسية عدة، حيث كان اللبنانيون يأملون في اتخاذ إجراءات سريعة لوقف الانهيار.

ومن بين تلك الإجراءات "المُعلّقة" التي كان من المنتظر المباشرة بها فور تشكيل الحكومة، التفاوض مع صندوق النقد الدولي، وحل أزمة شح الوقود وانقطاع الكهرباء، وهبوط قيمة الليرة مقابل الدولار.

ويلفت شومان إلى أن المرحلة المقبلة لن تكون إيجابية في ظل استمرار الاحتقان، ما قد يفجر "الألغام السياسية" واحدا تلو الآخر، كما حصل مؤخرا في ملف التحقيقات في انفجار المرفأ وانعكاسه بالشارع.

ويصف التحقيقات في قضية المرفأ بـ"القنبلة الموقوتة" التي قد تنفجر في وجه الجميع إذا لم تسارع القوى السياسية إلى لملمة الموضوع، وإلا فستصبح البلاد ذات حكومة مُعلقة وليست معطلة فقط.

وتشكلت حكومة ميقاتي في العاشر من سبتمبر الماضي، بعد 13 شهرا من التعثر عقب استقالة حكومة حسان دياب بعد 6 أيام من انفجار الرابع من أغسطس 2020، الذي وقع في مرفأ بيروت وأدى إلى مصرع 217 شخصا وإصابة نحو 7 آلاف آخرين.

وكانت حكومة ميقاتي تعهدت في برنامج عملها بتقديم خطة إنقاذية لوقف الانهيار الاقتصادي والمالي والمعيشي الذي تعانيه البلاد منذ نحو عامين، إلا أن تلك الخطوات لم تبدأ فعليا بعد.

توفيق شومان

التشنج السياسي وأحداث الشارع سيؤديان إلى شلل مجلس الوزراء

ومن جانبه، يقول النائب قاسم هاشم عضو "كتلة التنمية والتحرير" النيابية التي يترأسها رئيس البرلمان نبيه بري (زعيم حركة أمل)، إن ما حصل في الطيونة هو اعتداء على أمن الدولة، ويهدف إلى زعزعة الاستقرار وفتح باب للفتنة.

ويضيف أنه كان هناك تخطيط وتصميم لتنفيذ هذا الاعتداء على المتظاهرين وأخذ البلاد نحو الفوضى، من قبل بعض المرتبطين بأجندات خارجية (دون أن يسمي أحدا) بهدف استغلال الظروف السياسية وعدم الاستقرار في البلاد.

وحتى مساء السبت، أوقفت الأجهزة الأمنية 19 شخصا ممن ثبت تورطهم في الاشتباك المسلح الذي أسفر عن سقوط 7 قتلى والعشرات من الجرحى، فيما لا تزال التحقيقات مستمرة لكشف هوية جميع المتورطين بالأحداث، وفق ما أعلنت وكالة الأنباء اللبنانية الرسمية.

لكن هاشم يقول إن ما حصل ينبغي ألا يؤثر على عمل الحكومة، إنما يجب أن يكون دافعا لاتخاذ إجراءات سريعة وقرارات حاسمة حول كل الملفات التي أدت إلى التوتر السياسي، وعلى رأسها ملف التحقيقات في قضية المرفأ.

ويضيف أن "هذه الخطوات مطلوبة كي تُبقي الحكومة على انسجامها وتماسكها لتفادي البلاد المزيد من الأزمات التي نحن في غنى عنها، في ظل الانهيار الاقتصادي والمعيشي".

والسبت، قال ميقاتي إن "الحكومة حريصة على عدم التدخل في أي ملف يخص القضاء"، في إشارة إلى عدم نية الحكومة بحث ملف التحقيقات في انفجار المرفأ أو كفّ يد البيطار عنها.

وجاء كلام ميقاتي عقب اجتماعه مع وزير العدل هنري خوري، ورئيس مجلس القضاء الأعلى سهيل عبود، والنائب العام التمييزي غسان عويدات، وفق بيان لمكتبه الإعلامي.

وفي الثاني من يوليو الماضي، ادعى البيطار على 10 مسؤولين وضباط، بينهم نائبان من "أمل" هما علي حسن خليل وغازي زعيتر، ورئيس الحكومة السابق حسان دياب، في قضية انفجار المرفأ.

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

القاهرة تنتظر مآلات خلافات الإخوان استعدادا للمرحلة المقبلة

الجزء الغاطس في معركة منير – حسين يثير شكوك مصر في تركيا

بيت الإخوان يتهاوى

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

السلطات المصرية تراقب بحذر الصراع الذي يجري بين شقوق جماعة الإخوان المسلمين، الذي خرج إلى العلن بين شقي إسطنبول ولندن، وهي تعتقد أن الانتظار إلى حين اتضاح الصورة أفضل لمعرفة مآلات المعركة، ولفائدة من تصبّ، وعلى ضوئها يتم التحرك مع الحلفاء الإقليميين للجماعة وخاصة مع تركيا.

القاهرة - انشغل البعض من المراقبين بتفاصيل ما يدور داخل جماعة الإخوان من خلافات عميقة بين مكتب إسطنبول الذي يتزعمه القيادي محمود حسين ومكتب لندن الذي يقوده القائم بأعمال المرشد إبراهيم منير، ولم ينشغل هؤلاء بالطريقة التي يمكن أن تُصفّى بها المعركة السياسية بين المكتبين وما تحمله من تداعيات في القاهرة.

تدور الخلافات على الأراضي التركية والبريطانية، لكن تأثيراتها سوف تكون لها ارتدادات واسعة على الأراضي المصرية لأنها منشأ التنظيم الأم ومكان تفاعلاته المركزية، ولذلك تترقب القاهرة ما سوف تسفر عنه المعركة السياسية بين منير وحسين بعد أن وصلت إلى مستوى العزل والعزل المضاد للسيطرة على قوام التنظيم.

تهتم الحكومة المصرية بالطريقة التي تُصفّى بها الخلافات، بالتفاهم والحلول الوسط أو الانشقاق، ومعنية بما سيتمخض عن الطريقين، وتعلم أن خيار العودة إلى التفاهم وارد حدوثه، فالخلاف يدور بعيدا عن ثوابت التنظيم وينصبّ على آلية إدارته في الوقت الراهن، حيث يمر بفترة غاية في الحساسية ويحتاج إلى توافق جميع قياداته.

في جميع المرات التي عصفت بالجماعة انشقاقات حادة على مدار العقود الماضية ظل عصب التنظيم متماسكا ولم ينفرط، وبقي المنشقون قلة ولم يغير خروجهم عن قيادة الجماعة شيئا كبيرا في هيكلها الرئيسي، فالهيراركية التي تعمل بها القيادة وفرت له حماية من الانهيار وعصمته من المصير الغامض الذي دخلته جماعات سياسية أخرى.

يختلف الوضع هذه المرة عن المرات السابقة من زاوية أن عددا كبيرا من قيادات الجماعة داخل السجون المصرية، ومنهم من حُكم عليه بأحكام قضائية نهائية تبقيه سنوات طويلة في الحبس أو تقوده إلى الاعدام، ومنهم هاربون ومشردون في بلدان مختلفة.

وأفقدت الضربات الأمنية والسياسية التي تعرض لها التنظيم في مصر جانبا مهما من قوته، وساءت صورته في الشارع بسبب العنف المفرط الذي قام به الجناح المسلح والتحالف مع تنظيمات إرهابية متعددة، ولم تعد خطابات المظلومية لدى من بقوا خارج السجون من قادة التنظيم تدغدغ المشاعر أو تجذب المواطنين إليها، وهي الركيزة التي وفرت قاعدة قللت من جدوى الخلافات التي مر بها التنظيم سابقا.

أسئلة بلا إجابات

كما أن القوى الإقليمية والدولية التي مثلت حاضنة له بعضها أنهى أو خفف من دعمه للتنظيم، بما جعله أكثر ضعفا وأقل مقاومة لصد الخلافات التي شوهت الصورة التي حاولت هياكله القيادية رسمها له كتنظيم حديدي غير قابل للاختراق ولا أحد يعلم ما يدور في كواليسه وبين جدرانه، فقد باتت الكثير من التطورات يجري تداولها على الملأ بشكل يوحي بأن الجماعة لم تعد متمكنة من السيطرة على خلافاتها الداخلية.

> ما يهم مصر في معركة منير - حسين موقف أنقرة التي تبدو صامتة على ما يدور داخل أراضيها

وتنتظر القاهرة التعرف على آلية تصفية التباين وبأيّ وسيلة سياسية، وإلى أيّ جبهة ستحسم المعركة، ومن يقفون خلف منير وحسين، وما هو مصير بعض القيادات والكوادر التي لا تميل إلى هذا أو ذاك حاليا، وما هو موقف القيادات القابعة داخل السجون في مصر، وهل تظل القوى الخارجية الداعمة بمنأى عن هذه الخلافات أم هي جزء منه ولها انحيازات مع أحد الطرفين المتصارعين أو ضده حتى الآن؟

تحدد الإجابة الدقيقة على هذه الأسئلة الكثير من ملامح التعامل المصري مع الخلافات الراهنة، ويحتاج العثور على إجابات شافية لها المزيد من الوقت، ما يعني أن القاهرة سوف تظل منتظرة وتترقب معرفتها بالحصيلة النهائية للأزمة، الأمر الذي يمنحها فرصة من الوقت للمراقبة والمتابعة وتحديد السيناريوهات.

ترى الحكومة المصرية أن خلافات الإخوان ممتدة لأن قيادات التنظيم، والقوى الإقليمية والدولية المهتمة بها، لن تضحي بسهولة بالجماعة وتجعلها تتهاوى، وقد تكون هناك محاولات لجمع الشمل مرة أخرى، فالأزمة التي تمر بها عاصفة وإذا تركت لمصيرها المجهول دون تدخل أو احتواء سوف تفقدها الكثير من زخمها وتخرجها من حسابات القوى التي وظفتها سياسيا وأمنيا على مدار سنوات طويلة.

دعمت الأزمة الحالية تقديرات الكثير من المراقبين بأن قيادات الجماعة غير قادرة على إحكام قبضتها على هياكلها الداخلية، والضربات التي تعرضت لها أعادتها كثيرا إلى الوراء، وخطابها العام أصبح عاجزا عن إقناع كوادرها وشبابها، فما بالك بمن هم خارجها من قوى وأحزاب مالت إلى التعاون والتنسيق معها من قبل؟

تريث وصبر وانتظار

وفّرت الأزمة للحكومة المصرية وقتا لالتقاط أنفاسها من الضغوط الواقعة عليها بشأن فتح نافذة للإصلاحات السياسية والبدء في صفحة جديدة مع الجماعة، لأن فصول المعركة لم تنته بعد، ويمكن أن تؤدي إلى المزيد من التدهور داخلها، بالتالي تتراجع أهمية واحدة من الصفحات التي كانت عنصرا مهما في المعادلة السياسية بمصر.

وتبدو القاهرة غير مستعجلة للحكم على نتيجة معركة منير – حسين، لأن هناك جزءا كبيرا غاطسا فيها، فما يتم تداوله عبر وسائل الإعلام التابعة للتنظيم لا يحوي الحقيقة كلها وتقوم به لجان إلكترونية توجه المعركة نحو المربع الذي تريده، كما أن الخلافات تدور حول الرؤى التي يتبناها كل طرف لإدارة الجماعة وتقويتها.

لم يشر أحدهما إلى الخروج عن مسارها التاريخي أو تبني طروحات مغايرة، ولم يتحدث كلاهما عن تحول في الأسس التي تنطلق منها الجماعة، ولم يطرأ تغير في التوجهات حيال النظام المصري، فلا تزال المفردات السلبية القديمة المكررة يتم تداولها على ألسنة الجبهتين، وربما يتم اللجوء إلى توجيه الدفة نحو وجهة أخرى لكسب ود الكوادر وحرف الأزمة عن مسارها الداخلي وتصويبها إلى القاهرة مباشرة.

لذلك لا تتعجل الحكومة المصرية قطف الثمار السياسية مما يحدث بين مكتبي إسطنبول ولندن، ففي ظل ضيق الخيارات المتاحة أمام قيادات التنظيم وعدم تجاوب القاهرة مع الرسائل التي وصلتها على مدار الفترة الماضية سيجد منير وحسين في النظام المصري هدفا لتكثيف الضربات السياسية لاسترداد جانب من الحيوية التي خسرها التنظيم بعد التغير النسبي في رؤية أنقرة، والتي قادت إلى تقارب مع القاهرة قلّص مساحة الحركة الإعلامية التي تمتعت بها الجماعة على الأراضي التركية.

ينتظر النظام المصري معرفة نتيجة الحوارات الاستكشافية مع نظيره التركي التي سوف تحدد إلى حد كبير وسيلة تعامله مع جماعة الإخوان الفترة المقبلة، فما يهمه في معركة منير – حسين موقف أنقرة التي تبدو صامتة على ما يدور داخل أراضيها، كأنه شأن لا يهمها، وهو ما يزعج القاهرة التي تخشى أن تكون المعركة بينهما مفتعلة لتخفيض سقف ضغوطها على أنقرة، باعتبار أن السوس ينخر في التنظيم ويوشك على أن يأكله، من ثم لا داعي ليكون ورقة تعطل التقارب بين البلدين.

هذه واحدة من الفصول الدقيقة التي تتحسب لها القاهرة، لأن الخبرات السابقة ولدت قناعات بعدم الثقة في الإخوان إطلاقا، والشك في حسن النوايا التركية، فعندما لا تجد أنقرة وسيلة للتنصل من الالتزامات المطلوبة منها تلجأ إلى الهروب إلى الأمام على أمل أن تصوّب علاقاتها بعيدا عن ورقة الإخوان التي تريد الحفاظ عليها لأسباب أيديولوجية.

لبنان وإسلام الزعران

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لمن لا يعرف معنى كلمة زعران نقول إن اللبنانيين يطلقون صفة أزعر على الشخص المستهتر قليل الحياء، والخارج على القانون، وكثير المشاكل والاعتداءات، وسيّء السلوك.

وبمطابقة هذه الأوصاف على ما فعله النظام الإيراني، منذ أول يوم تولى الحكم في إيران، يتبين أن له عقيدة ثابتة تهدف إلى تركيع شعوب دول الجوار ولكن بالواسطة، بتشكيل ميليشيات من "زعران" الدولة التي يريد تمزيق وحدة شعبها وتفتيتها وتعطيل الحياة فيها، تمهيدا للهيمنة عليها وضمها إلى أملاكه.

فقبل ظهور الخميني لم يكن مواطنٌ إيراني أو عراقي أو سوري أو لبناني أو يمني يعرف القتل الجماعي، ولم يعتَدْ على النصب والابتزاز والاغتصاب وزراعة المخدرات والمتاجرة بها، وتجاوز قوانين الدول، وحرمان المواطن من رزقه وأمنه إلى أن يستسلم أو يموت.

وتعالوا نتذكر فواجع الأيام السود من أولها وحتى النهاية. فيوم أن هبطت الطائرة الفرنسية الخاصة التي حملته معززا مكرما من الحدود العراقية – الكويتية إلى باريس، ليعود منها منتصرا إلى طهران، وعلى متن طائرة فرنسية خاصة أيضا، في الأول من فبراير 1979، خرج لاستقباله الملايين من الإيرانيين والعرب والمسلمين في أرجاء الدنيا الواسعة، متدينين وعلمانيين ويساريين وقوميين، متفائلين بعودته، وآملين أن يكون حكمه الجديد بداية لعدالة كانت مفقودة، وانطلاقا لمسيرة بناء ورخاء وحرية وأمن واستقرار لإيران والمنطقة.

ولكنه خيب آمالهم بالاعتقال الكيفي والقتل والاغتيال والتهجير، وبحروب طائفية مع شعوب المنطقة، وفق نظريته القائمة على تصدير الثورة إلى دول الجوار العربية، بحجة تحرير فلسطين والصلاة في القدس بعد محو إسرائيل، بعد عمر طويل.

ومنذ ذلك اليوم وحتى يوم الحرب الأهلية المصغرة الجديدة التي أدارها الخميس زعران ميليشيا حزب الله ومنظمة أمل اللبنانية الإيرانية سالت دماء غزيرة، واحترقت منازل، وتهجّرت جموع، واختفت جموع، وتلونت إيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن بالسواد، وامتلأت بالمآتم والجنازات التي لا تنتهي.

هل تذكرون كيف كان لبنان؟ وهل تعلمون كيف صار؟ فاللبنانيون عموما كانوا أسبق العرب وأكثرهم ميلا إلى الحداثة والديمقراطية والعلمانية. ويُسجل لهم أنهم جعلوا بلدهم الصغير مضافةً كريمة لكل هارب من وطنه الخربان، ولكل عاشق حرية وانعتاق، حتى أن أكبر أصحاب الأقلام التنويرية المتحررة وعمالقة المدارس والنظريات الفكرية الثورية التقدمية العربية غير اللبنانية ظهرت منجزاتهم الخالدة في لبنان، وحملت رائحة بحره وجباله، ومقاهيه، ومنتدياته الثقافية الشهيرة، ومهرجاناته الرحبانية، ومطابعه الأحدث ما في العالم، ودُور النشر العريقة الرائدة التي لم يكن ينافسها في الجودة والأناقة والجمال ومهارة التوزيع أيُّ عربي آخر، قط. أما لبنان حزب الله وأمل فهو لبنان آخر لا يصلح لعيش كريم.

ولبيان حجم النكبة اللبنانية الجديدة التي تسبب فيها حزب الله لهذا البلد الجميل نذكركم، قراءَنا الأعزاء، بأن سعر الليرة اللبنانية في العام 1975 كان ليرتين وثلاثين قرشا فقط للدولار الواحد، وفي 1984 بلغ ست ليرات ونصف الليرة، ويوم الخامس عشر من أكتوبر 2020 تجاوز سقف 20.000 ليرة للدولار الوحد، وعندكم الحساب.

هذا ما كانَه لبنان الأمس، وهذا ما أصبحَه اليوم.

وملخص الزوبعة الهمجية الجديدة التي أدارها حملة سلاح حزب الله ومنظمة أمل في مناطق الطيونة والشياح وعين الرمانة، وأدت إلى استشهاد 6 أشخاص وإصابة أكثر من 30، بحسب بيانات وزارة الصحة، أن المحقق العدلي في قضية انفجار مرفأ بيروت القاضي طارق بيطار أصدر مذكرة توقيف بحق وزير المالية السابق علي حسن خليل (حزب الله) لامتناعه عن المثول أمامه للتحقيق.

وكان قد استدعى من جديد رئيس الحكومة السابق حسان دياب والنواب والوزراء السابقين علي حسن خليل وغازي زعيتر ونهاد المشنوق للتحقيق.

وأبلغهم بيطار هذا القرار لصقا على مكان إقامة كل واحد منهم، ولدى مختار محلته، وعلى باب مكتب المحقق العدلي.

إلا أن الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله صرح بأن "المحقق العدلي القاضي طارق بيطار مسيس ولن يصل إلى الحقيقة في تحقيق الانفجار".

إلى هنا والشعب اللبناني الذي لا يملك القدرة على ردع هؤلاء الزعران، بسبب ظروفه الاقتصادية والمعيشية والتسليحية، توجه إلى المجتمع الدولي لنجدته وإنصافه وحمايته من رصاص الإسلام الإيراني المغشوش.

واستجابة وردا على الإرهاب العلني الإيراني الجديد هبت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وحكومات عربية معينة لنصرة الشعب اللبناني، ولإعانته على أسلحة حزب الله التي تتجول بين منازل المدنيين ومدارسهم وأسواقهم الشعبية وهي تطلق الرصاص الحي يمينا وشمالا بقصد الإرهاب وتركيع اللبنانيين، مواطنين وحزبيين وقضاة ومحققين.

ولكن الأميركيين والأوروبيين والعرب الباكين على مأزق الشعب اللبناني طالبوا فقط بضرورة استمرار التحقيق في انفجار ميناء بيروت لمعرفة الجاني. وكأنه غير معروف ولا توجد أدلة ثابتة وموثقة تدينه.

رغم أن المتخصصين في موضوع نترات الأمونيوم، منذ أول يوم التفجير في الرابع من أغسطس 2020، وحتى اليوم، أكدوا وما زالوا يؤكدون أن الرصيف 12 لم يحترق، لأن هذه النترات لا تحترق. أبدا أبدا. ولكن الرصيف الذي انفجر هو الرصيف 9، بما فيه من مواد معدة لتصنيع الصواريخ، والذي تؤكد الوثائق والشهادات الحكومية والشعبية أنه مملوك بالكامل لحزب الله، وخارجٌ عن سلطة أي حكومة.

أما أسر الـ140 شهيدا والمئات من المفقودين والآلاف من الجرحى والمصابين والملايين الذين تضررت منازلهم وأماكن عملهم ومصادر أرزاقهم، فعليهم أن ينتظروا التحقيقات، أعواما وأعواما، لعلها تعيد إليهم شهداءهم وتشفي جرحاهم وتعيد أرزاقهم إليهم، بعد عمر طويل. فالعدالة لا تموت، ولكن الذي يموت هو إما القاضي وإما جحا وإما الحمار.

ميليشيات حزب الله تخرب لبنان

رسالة «حزب الله» إلى اللبنانيين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

يصعب الكلام عن حرب أهليّة جديدة في لبنان، على الرغم وجود كلّ المؤشرات التي توحي بذلك. هذا عائد إلى سبب واحد على الأقلّ. يتمثّل السبب في غياب أيّ موازين للقوى تسمح بمثل هذه الحرب.

يمكن الخروج بمثل هذا الاستنتاج في ضوء ما حصل يوم الخميس الواقع فيه 14 تشرين الأوّل – أكتوبر 2021، وهو يوم استعاد فيه اللبنانيون ذكرى 13 نيسان – أبريل 1975، يوم بداية حرب أهليّة لم يخرج منها لبنان بعد كلّيا.

من الواضح أنّ «حزب الله» لا يمزح. لن يقبل بأن يكون موضوع بخطورة تفجير مرفأ بيروت منطلقا لتوجيه أيّ نوع من الاتهامات إليه. للحزب مهمات لا يمكن أن يقف لبنان عائقا في وجهها ولا يمكن أن يوجد في لبنان من يمنعه من تأديتها

في أساس كلّ ما حصل السلاح غير الشرعي الذي لا يزال يتحكّم بمصير الدولة اللبنانيّة. كان هذا السلاح فلسطينيا وصار إيرانيّا في مرحلة لاحقة. لم يتغيّر شيء منذ 1975... بل تغيّر الكثير. تغيّرت تركيبة المجتمع اللبناني المنفتح والمتنوّع وطبيعة بيروت نفسها التي عادت إليها الحياة لسنوات قصيرة بفضل مشروع إعادة بناء وسطها كي يكون مكانا يلتقي فيه جميع اللبنانيين. بيروت مكان يتّسع للبنانيين من كلّ الطوائف والمناطق وكلّ الطبقات الاجتماعيّة والمذاهب والطوائف. استطاع أعداء بيروت إفراغ المدينة مجدّدا وتحويلها إلى مدينة أشباح، لا أكثر، تعبيرا عن أحقادهم التي لا حدود لها على عاصمة لبنان وأهلها...

ليس حدثا عاديّا اعتراض "حزب الله" وحركة "أمل" على طارق بيطار قاضي التحقيق في تفجير مرفأ بيروت والإصرار على "قبعه". عبارة "قبع" القاضي هي التي يستخدمها الحزب والحركة في تعاطيهما مع هذه القضيّة بالغة الحساسيّة على الصعيد الوطني من جهة وللقضاء على مناعة ما بقي من مؤسسات في الدولة اللبنانيّة، أي ما بقي من قضاء مستقلّ، من جهة أخرى.

يبدو الاعتراض على استمرار القاضي بيطار في مهمّته حدثا استثنائيا بكلّ معنى الكلمة. هذا ليس عائدا فقط إلى أنّه ارتكب أخطاء كبيرة عندما راح يأخذ التحقيق إلى متاهات وزواريب بهدف إضاعته عن طريق اتهام هذا الوزير السابق أو النائب الحالي.

الأمر عائد بكل بساطة إلى أنّ القاضي فضّل في نهاية المطاف، لأسباب ستتكشّف يوما، الذهاب إلى لبّ القضيّة. أي إلى طرح الأسئلة التي كان يتوجب عليه طرحها منذ البداية من دون كلّ اللفّ والدوران اللذين اعتمدهما. إنّها أسئلة من نوع من وراء الإتيان بكميّات نيترات الأمونيوم إلى مرفأ بيروت؟ من أفرغها في أحد معابر المرفأ ومن خزنها طوال سبع سنوات؟ من حماها؟ الأهمّ من ذلك كله، من استخدم قسما من هذه المواد التي كان يخرجها من حرم المرفأ بين حين وآخر عندما تدعو الحاجة إلى ذلك؟ ما وجهة الاستخدام لكمّيات نيترات الأمونيوم التي خرجت من مرفأ بيروت؟

ثمّة أسئلة كثيرة يمكن أن تثار في شأن تصرّفات القاضي بيطار، بما في ذلك علاقته بمرجعيّة رئاسة الجمهوريّة حيث جبران باسيل الشخصية المهيمنة عبر بعض أزلامه. لعلّ اللافت للنظر امتناع القاضي عن الذهاب بعيدا عندما يتعلّق الأمر بأيّ شخصية مسيحية، باستثناء وزير سابق على علاقة بزعيم "تيار المردة" سليمان فرنجيّة الذي يعتبره جبران باسيل منافسه الأوّل على موقع رئيس الجمهوريّة في نهاية ولاية ميشال عون آخر تشرين الأوّل – أكتوبر 2022!

في كلّ الأحوال، بعيدا عن التلهّي بمعركة رئاسة الجمهوريّة اللبنانية، يتبيّن كلّ يوم أنّ "حزب الله" مصرّ على إثبات أنّ لبنان صار في تصرّفه، أي في تصرّف إيران. هذا معنى كلّ ما جرى في الأيّام القليلة الماضيّة وما سيجري في الأيّام المقبلة. سيتابع الحزب ضغطه لتأكيد أنّ لبنان تغيّر كلّيا وأن اعتراض أهل حيّ عين الرمّانة المسيحيين على التظاهرة التي نظمها مع حركة "أمل" لن يكون ذا شأن، على الرغم من سقوط ضحايا من المشاركين في التظاهرة.

المهمّ في نهاية المطاف بلوغ مرحلة لا يعود فيها من يسأل عن حقيقة تفجير مرفأ بيروت. مثل هذه الكارثة الحقيقيّة لا وجود لها، من وجهة نظر الحزب، على الرغم من تدمير ثلث العاصمة اللبنانية وسقوط ما يزيد على مئتي قتيل وآلاف الجرحى ووقوع أضرار رهيبة في الممتلكات. على اللبنانيين إزالة تفجير المرفأ من ذاكرتهم، مثلما على أهل بيروت والجبل نسيان غزوتي العاصمة والمناطق الدرزيّة في السابع من أيّار – مايو 2008!

مطلوب من كلّ من في لبنان أخذ حجمه الحقيقي. هذا بلد لا وجود فيه سوى لسلاح واحد هو سلاح "حزب الله" ولا وجود فيه لأيّ مجال لأخذ وردّ عندما يتعلّق الأمر بمصلحة "حزب الله" المكلّف إيرانيا بمهمات خارج الأراضي اللبنانيّة. من هذا المنطلق، لم يدرك رئيس الجمهورية ميشال عون معنى اللعب، أو الدخول في مساومات وشدّ حبال مع "حزب الله" في موضوع تفجير مرفأ بيروت. لم يدرك أنّه كان عليه التزام الموقف الذي اتخذه في البداية، مباشرة بعد وقوع الكارثة، بمعنى قطع الطريق على أيّ تحقيق دولي في التفجير.

من الواضح أنّ "حزب الله" لا يمزح. لن يقبل بأيّ شكل بذهاب القاضي بيطار إلى أبعد مما ذهب إليه. لن يقبل بأن يكون موضوع بخطورة تفجير مرفأ بيروت منطلقا لتوجيه أيّ نوع من الاتهامات إليه. للحزب مهمات لا يمكن أن يقف لبنان عائقا في وجهها ولا يمكن أن يوجد في لبنان من يمنعه من تأديتها، أكان ذلك داخل لبنان نفسه أو في سوريا والعراق... واليمن.

مرّة أخرى، يقع اللبنانيون ومعهم لبنان ضحيّة السلاح غير الشرعي.

آخر ما يهم حزب الله أوجاع اللبنانيين

ثمّة ثمن عليهم دفعه بعدما صار، هذا السلاح غير الشرعي الذي تتحكّم به إيران، يقرّر من هو رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة. كلّ ما في الأمر، أنّ على اللبنانيين إدراك أنّ بلدهم قاعدة في تصرّف "حزب الله" الذي لديه مهمات تتجاوز لبنان وأرضه، وكلّ ما فيه من حجر وبشر.

بكلام أوضح، إن رسالة الحزب من خلف الإصرار على "قبع" القاضي واضحة كلّ الوضوح. ملخّص الرسالة أنّ لبنان، بكلّ مؤسساته، تحت السيطرة الإيرانية... كلّ ما عدا ذلك أوهام!

الغرب ينظر إلى مستقبل تونس وليس إلى الماضي

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

من الطبيعي أن تكون لدول مثل الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي موقف مما يجري في تونس، وهو أمر عادي ولم يتوقف منذ فترة حكم الرئيس الراحل زين العابدين بن علي مرورا بمختلف مراحل ما بعد الثورة وصولا إلى إجراءات قيس سعيد ليوم الخامس والعشرين من يوليو وما تلاها من مراسيم تنفيذية خاصة قرارات يوم الثاني والعشرين من سبتمبر التي تحدد آليات إدارة المرحلة الجديدة.

لكن متابعة الخارج لوضع تونس ليست هي متابعة الحكومة ولا معارضيها، فالخارج لديه مصالح ومطالب واضحة تحددها اتجاهات المرحلة وماذا ستحقق. ليس هناك أي اعتراض على قرارات الخامس والعشرين من يوليو ولا على الثاني والعشرين من سبتمبر، فقط هم يريدون التسريع بتنفيذ تلك القرارات للوصول إلى تحقيق استقرار سياسي يساعد على إجراء الإصلاحات الاقتصادية المطلوبة التي سيتم على ضوئها الاستمرار في مساعدة تونس ماليا للخروج من أزمتها.

لقد أظهرت المواقف الغربية، وخاصة الأميركية، أن واشنطن لم تكن ضد إجراءات الخامس والعشرين من يوليو، وربما دعمتها من وراء الستار لأجل الخروج من حالة الفوضى السياسية التي سيطرت على تونس خلال عشر سنوات.

صحيح أن واشنطن وعواصم أوروبية مهمة، مثل لندن وبرلين، قد دعمت الانتقال الديمقراطي في تونس، وأشادت بثورة الياسمين، وبوجود نموذج عربي يحتكم بجدية إلى صناديق الاقتراع، واستقبلت تلك العواصم مختلف رموز المرحلة الجديدة بمن فيها ممثلو الإسلاميين، كما دعمت التوافق السياسي لأجل عبور المرحلة الدقيقة للبلاد.

لكن ذلك الحماس بدأ يخفت بالتدريج بعد أن ظهر أن الطبقة السياسية ليست لها القدرة على إدارة الدولة، وأنها ركزت فقط على تحقيق مكاسبها المباشرة، وتحصين نفوذها عبر سن القوانين ومحاولة وضع اليد على المؤسسات الدستورية المختلفة، فيما أغفلت الملف الاجتماعي والاقتصادي كليا، وتركت البلاد تسير نحو المجهول.

ومع ذلك، فقد سعت الدول الداعمة لتونس على التواصل مع مختلف الحكومات لأجل بناء أرضية تفاهم تقود إلى الإصلاحات، وعقدت معها المؤسسات المانحة حوارات واجتماعات وتفاهمات واضحة، لكن لا شيء من ذلك تحقق، وكان الجميع يهرب إلى الأمام ويتلافى اتخاذ القرارات المصيرية.

لأجل هذا لم يظهر الأميركيون ولا الأوروبيون أي حماس تجاه مطالب معارضي قيس سعيد بشأن عودة البرلمان، أو ممارسة ضغوط على السلطة الجديدة لتقديم تنازلات بشأن فتح حوار مع هذه المنظومة ورموزها، حتى أن وفد الكونغرس الأميركي زار تونس والتقى فعاليات سياسية ومدنية وتجنب لقاء راشد الغنوشي الذي كان يرأس البرلمان، ويروج أنصاره أنه مدعوم أميركيا، وهو نفسه قد بنى تصعيده في البداية على أساس السند الخارجي القوي.

لكن لا أحد أنجده لا من الأميركيين والأوروبيين، ولا من أصدقائه التقليديين في قطر وتركيا، ما يوحي بأن حكم السنوات العشر الماضية لم يعد يقبل به العدو والصديق في نفس الوقت.

وانطلاقا من هذه الأرضية الباحثة عن جهة تونسية مسؤولية وقادرة على أن تخرج البلاد من الفوضى، جاءت تصريحات المسؤولين الأميركيين، وآخرها موقف وزارة الخارجية الداعم لتشكيل الحكومة في تونس لتؤكد أنها لا تريد عرقلة الإصلاح السياسي والحكومي في تونس، وهي الإشارة التي فهمها الرئيس سعيد، وسيفهمها معارضوه بعد وقت.

الأميركيون والأوروبيون لم يظهروا أي حماس تجاه مطالب معارضي قيس سعيد بشأن عودة البرلمان، أو ممارسة ضغوط على السلطة الجديدة لتقديم تنازلات بشأن فتح حوار مع هذه المنظومة ورموزها

وقال المتحدث باسم الخارجية الأميركية نيد برايس في بيان صحافي نشرته السفارة الأميركية في تونس الثلاثاء "نهنئ تونس على تشكيل حكومة جديدة بقيادة رئيسة الحكومة نجلاء بودن رمضان".

وأضاف برايس "تعد الحكومة الجديدة خطوة مرحبا بها تخطوها تونس إلى الأمام نحو معالجة التحديات الاقتصادية والصحية والاجتماعية الكبيرة التي تواجه البلاد".

سيقول القائل وماذا عن موقف الكونغرس المتحفظ على الإصلاحات التي بدأها قيس سعيد، وهو موقف قد يتبناه البرلمان الأوروبي الذي يعقد جلسته بعد غد الثلاثاء؟

إن التدخلات التي جاءت خلال مداولات الكونغرس بشأن تونس، لم تدع إلى عودة البرلمان السابق، ولم تعلن رفضها لإجراءات الخامس والعشرين من يوليو أو الثاني والعشرين من سبتمبر، لكنها بنت مؤاخذاتها على شيئين مستقبليين، الأول يخص تحديد سقف زمني للمرحلة الاستثنائية. ولم يطالب المتدخلون بتحديد زمني بدورهم، فقط طالبوا قيس سعيد بأن يفعل هذا ويوضح متى تنتهي المرحلة الانتقالية، والعودة إلى المسار الدستوري، أي بناء مؤسسات شرعية جديدة

وهذا مطلب مقبول ومعقول، ولا شك أن قيس سعيد لن يحافظ على المرحلة الاستثنائية إلى ما نهاية، لكن الأمر يتطلب التحرك على مسارين اثنين، الاستمرار في معالجة القضايا الناتجة عن مخلفات المرحلة القادمة من جهة، ومن جهة ثانية التحضير لإجراء تعديلات على النظام السياسي والقانون البرلماني سواء من بوابة الاستفتاء، أو الدعوة إلى انتخابات برلمانية مبكرة على أن يتولى البرلمان الجديد مهمة تحضير الاستفتاء ووضع ملامح الانتقال إلى نظام سياسي جديد.

أما الجزء الثاني من المطالب التي جاءت على لسان متدخلين في الكونغرس فتخص إجراء حوار في تونس حول الإصلاحات، وليس المهم من سيكون ممثلا في هذا الحوار، بقدر أهمية التوصل إلى أرضية ملزمة للجميع بشأن تبني الإصلاحات.

والمقصود هنا ليس الإصلاحات السياسية، فقد شبع التونسيون بجدل الإصلاح السياسي وبناء المؤسسات الدستورية، ولكن الهدف الرئيس لهذه الإصلاحات هو الموضوع الاقتصادي، وأساسا ما ورد في تقييم وكالة موديز الأخير الذي حطت فيه من تنصيف تونس إلى مستوى عالي المخاطر.

وحسب تشكيل الحكومة الجديدة "سيفتح الطريق أمام مفاوضات جديدة مع المقرضين الرسميين"، ولكن "من الصعب أن يتم التوافق حول إصلاحات سابقة وخاصة في ما يتعلق بكتلة الرواتب في القطاع الحكومي وإصلاح الدعم المالي لقطاع الطاقة وإصلاح المؤسسات الحكومية".

وبالنتيجة، فإن ما يهم الداعمين الخارجيين في الشأن التونسي، هو النظر إلى المستقبل وسبل تحسينه، وليس التمسك بماض لا يخفي الفاعلون فيه قناعتهم بأنه كان مرحلة فاشلة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

هل تقود مفاجآت القوى الشيعية في الانتخابات العراق إلى انسداد سياسي؟

زخم سياسي قبل الإعلان عن النتائج النهائية للانتخابات لتثبيت تحالفات قادرة على تشكيل الحكومة

مخاوف من اللجوء إلى العنف

تثير المفاوضات الجارية من أجل تشكيل الحكومة القادمة في العراق على ضوء النتائج الأولية للانتخابات النيابية المبكرة التي جرت في وقت سابق من هذا الشهر تساؤلات بشأن ما إذا ستتمكن القوى الشيعية التي أحدثت مفاجآت في الاستحقاق المذكور من تشكيل حكومة، أم أنها ستقود العراق إلى انسداد سياسي.

القاهرة – مع استمرار ترقب النتائج النهائية للانتخابات البرلمانية في العراق التي أجريت في العاشر من الشهر الجاري تتزايد التساؤلات بشأن مآلات الانقسام بين القوى الشيعية والمفاجآت التي أحدثتها تلك القوى في الاستحقاق المذكور وما إذا كانت ستقود البلاد إلى حالة من الانسداد السياسي.

وتشهد الساحة السياسية العراقية زخما كبيرا، ومساعي من مختلف الأطياف السياسية لتشكيل الكتلة الأكبر والتحكم في إدارة دفة الأمور بالبلاد، وسط قناعات بأن النتائج الرسمية لن تختلف كثيرا عن تلك الأولية التي أعلنتها مفوضية الانتخابات غداة يوم الاقتراع.

وتبعث مختلف القوى السياسية رسائل وإشارات في إطار ما يعرف بترتيبات ما بعد الانتخابات، ولا يخلو الأمر بطبيعة الحال من رسائل قوية في اتجاهات خارجية أيضا.

ففي ظل ما تمخض عنه هذا الاستحقاق من نتائج لم تكن مفاجئة بصورة كبيرة على الساحتين السنية والكردية، إلا أنها كانت بمثابة زلزال في المعسكر الشيعي، فالتيار الصدري بزعامة مقتدى الصدر حصد 73 مقعدا مقابل 54 في البرلمان السابق، في حين تراجع تحالف "الفتح" الذي كان يعد المنافس الأقوى للتيار الصدري بصورة كبيرة ليحصل على 14 مقعدا، بعدما كان يشغل نحو 50 مقعدا بعد انتخابات 2018، والشيء نفسه بالنسبة إلى تحالف قوى الدولة الوطنية بزعامة كل من رئيس تيار "الحكمة" عمار الحكيم ورئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي الذي لم يحصد سوى 4 مقاعد بواقع مقعدين لكل منهما، علما بأن تيار "الحكمة" كان له 16 مقعدا وكان للعبادي مثلها تقريبا.

وخلف التيار الصدري يأتي ائتلاف "دولة القانون" بزعامة رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي، الذي رفع عدد مقاعده في البرلمان في هذه الانتخابات من 25 إلى 37 مقعدا، وهو ما يعني أن الصدر والمالكي هما من ظفرا بقصبة السبق على الساحة الشيعية.

ومن هنا يكتسب الحديث عن شكل الحكومة المقبلة، التي جرى العرف أن يكون رئيسها شيعيا، زخما يوما بعد يوم.

ثلاثة تحالفات

من خلال النتائج الأولية المعلنة هناك 3 تحالفات أو كتل سياسية شيعية سيكون دورها محوريا في تحديد المسارات المقبلة، وهي التيار الصدري وائتلاف "دولة القانون" وتحالف "الفتح".

ويرى مراقبون أن حصول التيار الصدري على المركز الأول لا يعني أن الطريق أمامه ستكون ممهدة، فهو يحتاج إلى التوصل إلى توافقات مع شركائه في المكون الشيعي قبل أن ينخرط في مشاوراته مع المعسكرين السني والكردي.

وعلى الرغم من تشكيل التيار الصدري للجنة بدأت عملية تفاوضية مع النخب والكتل السياسية بهدف تشكيل الحكومة المقبلة، فإن بعض التصريحات التي تخرج بين الحين والآخر من هنا وهناك وردود الفعل اللاحقة بشأن شكل الحكومة ربما تلقي الضوء على صعوبة المهمة.

ويرجح محللون أن يتسبب تراكم الاحتقانات والخلافات بين الصدر والمالكي على مدار 15 عاما، وحالة الاستقطاب الحادة التي تغذيها بعض القوى الخارجية صاحبة النفوذ في العراق على غرار إيران التي لها ميليشيات موالية لها، فضلا عن تشتت جزء من الحصة الشيعية في البرلمان المقبل بين كتل صغيرة ونواب مستقلين، في أن تشهد مرحلة ما بعد الانتخابات الكثير من الارتباك في البيت الشيعي، ومن ثم ستواجه عملية حسم المرشح لرئاسة الحكومة المقبلة صعوبات جمة.

> الكثيرون متخوفون من أن تترجم الميليشيات الموالية لإيران تصريحات الصدر على طريقتها، وأن يكون العراق على موعد مع جولة جديدة من العنف

إيران الخاسر الأكبر

يحذر مراقبون من خطورة الانقسام الشيعي – الشيعي في ضوء التدخلات الخارجية، لاسيما إيران التي تخشى على نفوذها في العراق وسط تلويح من الجماعات الموالية لها باللجوء إلى العنف إذا لزم الأمر.

ووصفت مجلة فورين بوليسي الأميركية طهران والجماعات الموالية لها بأنها الخاسر الأكبر في الانتخابات العراقية.

ويأتي هنا تلويح الجماعات الموالية لإيران برفض نتائج الانتخابات، بل وتهديدها باللجوء إلى العنف، بحسب فورين بوليسي.

> رغم تشكيل التيار الصدري للجنة بدأت عملية تفاوضية مع النخب والكتل السياسية لتشكيل الحكومة، فإن بعض التصريحات وردود الفعل تلقي الضوء على صعوبة المهمة

وقالت المجلة الأميركية "لا تزال الأجواء في العراق مضطربة، إذ دعمت أخبار وصول إسماعيل قاآني قائد فيلق القدس الإيراني الشائعات التي تفيد بأن إيران ووكلاءها سوف يتلاعبون بالنتيجة".

وبصفته رئيس الحزب صاحب غالبية المقاعد، يفترض أن يختار الصدر من يقوم بتشكيل الحكومة الجديدة، لكن في حال غياب الأغلبية، سيتعين عليه تشكيل ائتلاف ربما رسم خطوطه العريضة أو الأسس التي سيقوم على أساسها، وذلك في خطاب تلفزيوني بعد إعلان النتائج الأولية.

ووضع الصدر مكافحة الفساد وتفكيك الميليشيات على رأس أولوياته، قائلا "من الآن فصاعدا، ستقتصر الأسلحة على سيطرة الدولة وحدها".

كما وجه إشارة إلى الولايات المتحدة والقوى الأخرى، بقوله إن السفارات الأجنبية ستكون مرحبا بها في العراق "طالما لا تتدخل في شؤون البلاد الداخلية".

ويتخوف كثيرون من أن تترجم الميليشيات المسلحة الموالية لإيران تصريحات الصدر على طريقتها، وأن يكون العراق على موعد مع جولة عنف جديدة ربما تطيح بأي آمال في بلد ينعم ولو بقسط يسير من الاستقرار.

الهند متوجّسة من تداعيات انتصار طالبان على كشمير

سريناغار (الهند) – تتعاظم مخاوف الهند شيئا فشيئا من تداعيات استيلاء حركة طالبان المتطرفة على الحكم في أفغانستان المجاورة، خاصة في ظل تصاعد التوتر في الشطر الهندي من كشمير.

وبالنسبة إلى نيودلهي، فإن التوجس أساسا من أن يؤدي انتصار طالبان وتقهقر الجيش الأفغاني وسقوط الحكومة المدعومة غربيا في كابول، إلى تحفيز المتمردين في كشمير التي يشكل المسلمون غالبية سكانها.

ودعا رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي في وقت سابق من هذا الأسبوع خلال قمة لمجموعة العشرين في روما، إلى جهود دولية لمنع أفغانستان من التحول من جديد إلى ملاذ "للتطرف والإرهاب".

وتشهد كشمير منذ سيطرة طالبان على كابول في منتصف أغسطس، تصعيدا في التوتر مع تنفيذ المتمردين هجمات على المدنيين وقيام قوات الأمن بعمليات ضد مخابئ المتمردين وعمليات تسلل عبر خط وقف إطلاق النار بين الهند وباكستان.

وقتل في الشهرين الماضيين حوالي أربعين شخصا في عمليات إطلاق نار واشتباكات في الولاية الواقعة في منطقة الهملايا.

وكشمير مقسومة بين الهند وباكستان منذ استقلال البلدين عام 1947. ويطالب كلا البلدين بالسيطرة عليها بالكامل، ما تسبب في اثنتين من الحروب الثلاث التي دارت بينهما.

ولم تنسب نيودلهي صراحة مسؤولية التصعيد الأخير إلى سيطرة طالبان على أفغانستان، لكنها كثفت دورياتها في محيط الشطر الباكستاني من كشمير وعززت بعض المخيمات العسكرية، وفق ما أفاد سكان وضباط أمن طالبين عدم ذكر أسمائهم.

وطرح مودي مخاوف الهند على الرئيس الأميركي جو بايدن.

وأعلن خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر أنه يجب عدم السماح لأي بلد باستخدام الهند "أداة لتحقيق مصالحه الخاصة الأنانية"، ما اعتبر موجها ضمنا إلى باكستان، الداعم الأساسي لحركة طالبان خلال حكمها السابق بين 1996 و2001.

وإن كانت إسلام أباد امتنعت هذه المرة عن الاعتراف بحكم طالبان الجديد، فإن نيودلهي تتهم باكستان بتحريك مجموعتي "لشكر طيبة" و"جيش محمد" المتمركزتين على أراضيها واللتين تنسب إليهما العديد من الهجمات في كشمير، وهي اتهامات تنفيها باكستان.

وساندت الهند النظام الشيوعي في كابول إلى أن أطاحه المجاهدون عام 1992. وفي العام 2001 ساعدت الهند القوات الدولية بقيادة أميركية التي غزت البلاد وطردت حركة طالبان من السلطة، وكانت من الجهات المانحة الكبرى للحكومة التي أسقطها الإسلاميون المتطرفون في أغسطس.

وقاتل ناشطون أفغان إلى جانب متمردي كشمير في الثمانينات والتسعينات. وقال مقاتل سابق من كشمير إن حوالي عشرين أفغانيا من "الضيوف المجاهدين" قتلوا وأسر عشرة آخرون.

وتخشى الهند دخول أسلحة ومقاتلين من جديد إلى المنطقة. وقال رئيس هيئة أركان القوات الهندي الجنرال مانوج موكوند نارافان "ما يمكننا قوله لدى استخلاص العبر من الماضي هو أنه حين كان نظام طالبان السابق في السلطة، واجهنا بالتأكيد في ذلك الوقت إرهابيين أجانب من أصل أفغاني في جامو وكشمير".

وتابع "هناك بالتالي ما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذا قد يتكرر".

ومن المستحيل تنظيم احتجاجات في كشمير بسبب القيود التي تفرضها الهند، منذ أن ألغت الحكم شبه الذاتي في المنطقة عام 2019.

> الهند تخشى أساسا من دخول أسلحة ومقاتلين من جديد إلى الشطر الهندي من كشمير، الذي يشكل المسلمون غالبية سكانه

غير أن البعض في كشمير رحبوا بصمت بانتصار طالبان متطلعين بدورهم إلى تحقيق انتصار.

وقال رجل أعمال في سريناغار، كبرى مدن كشمير الهندية، طالبا عدم ذكر اسمه "إن كان بإمكانهم هزم أكبر قوة عسكرية في العالم، فأمامنا نحن أيضا إمكانية لنيل حريتنا".

وقال ناشط سابق في كشمير تدرب في أفغانستان في التسعينات وقاتل إلى جانب المجاهدين الأفغان في كشمير إن "فوز طالبان أعطى دفعا لحركتنا".

وأقر مسؤول أمني كبير في كشمير رفض الكشف عن اسمه بوجود "قدر من الهلع" في صفوف قوات الأمن.

ورأى مايكل كوغلمان خبير جنوب آسيا في مركز ويلسون في واشنطن أن قادة أفغانستان الجدد يمكن أن يشجعوا على "تكثيف الاضطرابات" في كشمير، مضيفا "طالبان لن تثير بنفسها اضطرابات في كشمير، لكن الذين اصطفت إلى جانبهم سيفعلون ذلك على الأرجح".

وأكد قادة طالبان أنهم يعتزمون الحفاظ على العلاقات مع الهند ولاسيما على الصعيد التجاري.

ولا يرى مشرف زيدي كاتب المقال والمحلل المتخصص في المسائل الأمنية في باكستان أن من مصلحة طالبان "استفزاز السلطات الهندية بشكل متعمد".

تصاعد التوتر في كشمير

تخفيض الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط هل هو أكثر فاعلية؟

دول المنطقة تبحث عن بدائل بينها الحوار بدل الاستمرار في الصراعات

قرار الولايات المتحدة بتقليص وجودها العسكري المباشر في الشرق الأوسطدفع إلى إعادة ترتيب الأوضاع بسرعة في اتجاهين، الأول فتح الباب أم تدخلات دولية أخرى سلسة خاصة من الصين وروسيا، أما الثاني فيدفع باتجاه بناء الثقة بين الخصوم الإقليميين مثل إيران والسعودية من أجل حل الخلافات بالحوار.

لندن - بدأت دول الشرق الأوسط تستعد لمرحلة جديدة من الأمن القومي تقوم على تراجع الدعم الأميركي مقابل انفتاح فرص لتنويع الشركاء والزيادة في الاعتماد على الذات، وهي فرصة، كما يقول الخبراء، لاختبار مدى قدرة المنطقة على التعامل مع الوضع الجديد وإدارة خلافاتها الداخلية.

ولا يقف تراجع الوجود الاستراتيجي في المنطقة على الخليج والعراق فقط، وإنما سيمتد إلى أفغانستان أيضا، في وقت يقول الأميركيون إن تركيزهم منصبّ على الصين وطرق مواجهتها، وسط تساؤلات إن كان ما بقي من وجود عسكري أميركي سيكون أكثر فاعلية وذا تأثير إيجابي من الوجود الواسع.

ويمكن أن تظهر أفغانستان، على الرغم من الانسحاب الفوضوي للولايات المتحدة ، كمثال آخر على التأثير الإيجابي عندما تتظافر المصالح العالمية. هذا إذا أثبتت طالبان استعدادها وقدرتها على السيطرة على الجماعات المسلحة لضمان عدم قيامها بعمليات في الخارج أو استهداف السفارات والأهداف الأجنبية الأخرى في البلاد.

جيمس دورسي

مؤشرات تدعم التفاؤل بأن الشرق الأوسط يتراجع عن حافة الهاوية

وينسب المحلّلون الفضل للرئيس الأميركي جو بايدن الذي اختار التركيز على آسيا بدل الشرق الأوسط وتزايد عدم اليقين بشأن التزامه بأمن الخليج في ظل بروز قوى إقليمية أخرى تهدد أمن دول مجلس التعاون مثل تركيا، وخاصة إيران التي تجد في الانسحاب الأميركي فرصة لا تفوّت للتمدد في محيطها الإقليمي بزيادة نفوذها المباشر في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وتهديد أمن البحرين والسعودية عن طرق أذرعها في المنطقة.

ومن المؤكد أن التغييرات في أولويات واشنطن تؤثر على الاستراتيجيات ومواقف الدفاع الإقليمية بالنظر إلى الوجود العسكري الكبير للولايات المتحدة في الشرق الأوسط حين كانت تعتبر الضامن الأمني الوحيد.

ومع ذلك، فإن ما يدق أجراس الإنذار في عواصم الخليج يثير مخاوف في بكين أيضا، حيث تعتمد إلى حد كبير على تدفق تجارتها وطاقتها من مياه الشرق الأوسط وعبرها. كما يثير هذا مخاوف أمنية في موسكو على مستوى تطلعاتها الجيوسياسية.

ولم يكن مفاجئا أن تكرر روسيا والصين، كلٌ منهما بطريقته الخاصة المستقلة عن الولايات المتحدة، خلال العام الماضي رسالة واشنطن بأن الشرق الأوسط في حاجة إلى العمل معا.

واقترحت روسيا هيكلا أمنيا إقليميا جديدا بالكامل على غرار منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، حرصا منها على تغيير النظام العالمي بدلا من إصلاحه، مما أضاف الصين والهند وأوروبا إلى هذا المزيج أيضا.

وأرسلت الصين إشارات من خلال الأكاديميين والمحللين الذين نقلوا رسالة تفيد أن الشرق الأوسط لا يحتل مرتبة عالية في جدول أعمال الصين.

وقال نيو شين تشون مدير دراسات الشرق الأوسط في معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة، وهو مركز أبحاث صيني مرموق، في ندوة عبر الإنترنت العام الماضي "بالنسبة إلى الصين، فإن الشرق الأوسط دائما ما يكون في الخلف بعيدا جدا عن خطط بكين العالمية الاستراتيجية".

لكن الباحثيْن الصينييْن البارزيْن سون ديجانج ووو سيك يذهبان في اتجاه آخر لطمأنة المنافسين، ويقوم على الاعتراف بأن بلادهم مهتمة بالشرق الأوسط، ولكن ليس بهدف الهيمنة التامة، وأنها تبحث عن "أرضية مشتركة مع الاحتفاظ بالخلافات"، وهي صيغة تتضمن إدارة الصراع بدلا من حل النزاع.

ويقترح الباحثان على هذا الأساس أن المشاركة الصينية في أمن الشرق الأوسط ستسعى إلى بناء آلية أمن جماعي إقليمية شاملة ومشتركة تقوم على الإنصاف والعدالة والتعددية والحوكمة الشاملة واحتواء الاختلافات.

وفي التحليل النهائي، من المحتمل أن الإشارات الصينية والروسية إلى وجود إجماع غير معلن للقوى العظمى عززت الرسائل الأميركية ومنحت دول الشرق الأوسط دفعة أخرى لتغيير المسار وإظهار الاستعداد للسيطرة على التوترات والخلافات.

ومع تراجع الوجود الأميركي في الشرق الأوسط، هناك ما يشبه الاتفاق غير المعلن بين القوى العظمى من أجل تخفيف حدة التوترات.

وفي حين كان هناك القليل من التخفيض الحقيقي للقوات الأميركية على الأرض، فإن مجرد الحديث عنه فتح مسارات يغير وزن الولايات المتحدة في المعادلة.

وأشار رعد القادري، وهو مستشار دولي للمخاطر، أن "الولايات المتحدة تنظر إلى نفسها عادة على أنه لا غنى عنها للاستقرار الإقليمي في جميع أنحاء العالم، في حين أن تدخلها في الواقع يمكن أن يكون مزعزعا لأنه يصبح جزءا من المعادلة المحلية".

وسعى القادة والمسؤولون السعوديون والإيرانيون إلى إضفاء لمسة إيجابية على العديد من جولات المحادثات المباشرة وغير المباشرة بين الخصمين. ومع ذلك، فإن الأهم من الحديث عن التقدم، والتعبير عن الاستعداد لدفن الفؤوس، والتخفيف من حدة الخطاب هو إصرار العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز في تصريحات الشهر الماضي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة على الحاجة إلى بناء الثقة.

وأشار الملك سلمان إلى أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال وقف إيران "لجميع أنواع الدعم" للجماعات المسلحة في المنطقة، بما في ذلك للحوثيين في اليمن، وحزب الله في لبنان، والميليشيات الموالية لها في العراق.

ويكمن العائق المحتمل في عدم احتمالية تقديم إيران تنازلات ذات مغزى لتحسين العلاقات خاصة ما يتعلق بالحرب في اليمن والهجمات التي تستهدف أراضي السعودية، وحقيقة أن فرص إحياء الاتفاقية الدولية لسنة 2015 التي قيدت برنامج إيران النووي قد تتلاشى، ويستمر هذا البرنامج في تهديد التوازن الإقليمي.

وقال المفاوض الأميركي روب مالي "علينا أن نستعد لعالم لا توجد فيه قيود على إيران بشأن برنامجها النووي وعلينا النظر في خيارات للتعامل مع ذلك. هذا ما نقوم به بينما نأمل أن تعود إلى الاتفاق".

ويتخذ السياسيون الإسرائيليون غير الراضين عن الصفقة النووية الأصلية وجهود إدارة بايدن لإحيائها وجهة نظر أكثر إثارة للقلق، حيث أخبر وزير الخارجية يائير لابيد مستشار الأمن القومي الأميركي جيك سوليفان في واشنطن أن إيران أصبحت عتبة نووية.

وأكد يوسي كوهين، وهو من المقربين من نتنياهو والذي تنحى في يونيو عن منصب رئيس الموساد، في نفس الوقت أن إيران "ليست أقرب من ذي قبل" من الحصول على سلاح نووي.

في هذه الأثناء، هناك مقدمة لتداعيات فشل محتمل في وضع اتفاق نووي قيد التنفيذ على جبهات متعددة مع تصاعد التوتر على طول الحدود بين إيران وأذربيجان.

وترى إيران في توثيق العلاقات الأذرية – الإسرائيلية جزءا من محاولة لتطويقها وتخشى أن تكون الدولة القوقازية نقطة انطلاق للعمليات الإسرائيلية ضدها.

وانخرطت إيران وتركيا وإسرائيل في نفس الوقت في معركة ظل في شمال العراق الذي تقطنه أغلبية كردية، بينما أظهر استطلاع للرأي أن نصف اليهود الإسرائيليين يعتقدون أن مهاجمة إيران في وقت مبكر بدلا من التفاوض على صفقة كان من الممكن أن يكون نهجا أفضل.

ويقول جيمس دورسي الخبير في قضايا الشرق الأوسط إن هذه العوامل مجتمعة تلقي بظلالها على التفاؤل بأن الشرق الأوسط يتراجع عن حافة الهاوية وتبرز أن قيادة القوى العظمى المنسقة هي ما يمكن أن تحدث فرقا حيث يوازن الشرق الأوسط بين شق طريق نحو الاستقرار وبين شن حرب سرية مستمرة وربما علنية.

واقترح برنامج أبحاث إيران التابع لجامعة جونز هوبكنز أن عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي قد تكون حافزا للتعاون مع أوروبا والصين وروسيا "إذا رفضت الولايات المتحدة إعادة الانضمام إلى الاتفاقية، فإن روسيا والصين ستكثفان تعاونهما الاقتصادي والأمني مع إيران بطريقة تتعارض بشكل أساسي مع المصالح الأميركية".

ماذا بعد الانسحاب الأميركي

المواجهة الأميركية مع الصين أبعد من الخيار العسكري

بكين - أدى التحول في التركيز الاستراتيجي للولايات المتحدة، من محاربة الإرهاب في الشرق الأوسط إلى التنافس مع الصين إلى مستوى متزايد من المواجهة وإمكانية اندلاع حروب في تايوان وبحر الصين الجنوبي. لكن خبراء يقول إن المواجهة الأميركية مع الصين أبعد من الخيار العسكري في منطقة جغرافية محدودة، فهناك تنافس اقتصادي وأمني وتكنولوجي في مناطق مختلفة من العالم.

وفي الوقت نفسه، أدت الزيادات في الإنتاج المحلي الأميركي للغاز الطبيعي والنفط إلى أن يعتقد الكثيرون أن الولايات المتحدة ليست في حاجة كبيرة إلى التدفق السلس لصادرات الطاقة من الخليج ومنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

توتر روتيني

لكن الواقع يقول إن الولايات المتحدة لا تسعى بأيّ حال لخوض حرب مع الصين، وهي تعمل على وقف التمدد الصيني بأساليب غير عسكرية. كما أنها لا تنوي التخلي التام عن الخليج.

ويؤكد الباحث والمحلل السياسي الأميركي أنتوني كوردسمان أن لدى الولايات المتحدة كل الدوافع التي تدعوها لتجنب اندلاع حرب بشأن تايوان وبحر الصين الجنوبي. إذ أن حاجة واشنطن إلى النظر إلى ما هو أبعد من منطقة شرق المحيط الهادئ والتعامل مع الصين على مستوى عالمي، تدفعها إلى التركيز على التنافس السلمي وليس المواجهة.

ويوضح كوردسمان الذي عمل مستشارا لشؤون أفغانستان لحساب وزارتي الخارجية والدفاع الأميركيتين أن هناك أمرا ثانيا، وهو أن الاعتماد المتزايد للصين على الواردات النفطية يجعلها أكثر عرضة باستمرار للمعاناة من أيّ انقطاع أو قيود على تدفق صادرات النفط من الخليج وعبر المحيط الهندي ومضيق ملقا.

وتوفر الشراكات الاستراتيجية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا – لاسيما في الخليج – مصدرا أساسيا لميزة استراتيجية يمكن أن تعوض جزئيا المزايا الجغرافية التي تتمتع بها الصين بالقرب من تايوان وبحر الصين الجنوبي. كما توفر مصدرا رئيسيا للاستقرار والأمن بالنسبة إلى شركائها وتضمن التدفق المستقر للنفط إلى اليابان وكوريا الجنوبية والاقتصاد العالمي.

ويتعين أن تشمل استراتيجية الولايات المتحدة في التعامل مع الصين حقيقة أن وجود هذه الأخيرة كقوة كبرى بات أمرا عالميا، ولا يقتصر على شرق المحيط الهادئ وتايوان وبحر الصين الجنوبي.

كما تسعى الصين لتطوير قدراتها على انتشار قواتها عالميا؛ وتوسيع نطاق نفوذها وسيطرتها في وسط آسيا والمحيط الهندي والبحر المتوسط والخليج ومنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأوروبا، وأفريقيا وأميركا اللاتينية.

ويقول كوردسمان إن الصين لا تفرّق بين جهودها العسكرية والمدنية وبرامجها الاقتصادية الخاصة بمبادرة "الحزام والطريق" ذات الطابع الاستراتيجي، وتهدف إلى أن تكون شكلا من أشكال منافسة "المنطقة البيضاء" مع الولايات المتحدة. وهي تمثل تحديا خطيرا لواشنطن.

> استراتيجية واشنطن في التعامل مع بكين يتعين أن تشمل حقيقة أن وجود الصين كقوة كبرى بات أمرا عالميا

ويضيف أنه بوجه عام، لا تستطيع الولايات المتحدة ترك نفسها للوقوع في مصيدة التركيز على مجالات التنافس العسكري المباشر حيث تتمتع الصين بمزايا أكبر فيما يتعلق بالجغرافيا الاستراتيجية، والقدرة على خوض الحرب.

وقد تستطيع الولايات المتحدة مواجهة الصين إلى ما لا نهاية في محاولة لضمان استقلال تايوان وحرية الملاحة في بحر الصين الجنوبي، ولكن حتى في الوقت الحالي تكشف الدراسات والمناورات الحربية أن الميزة التي كانت تتمتع بها الولايات المتحدة في السابق تراجعت بدرجة كبيرة للغاية.

وإذا أرادت الولايات المتحدة ردع الصين بنجاح وإرغامها على التنافس والتعاون السلمي، فإنه يتعين عليها حينئذ التنافس على مستوى عالمي، إذ أن مواجهة الصين بالتهديد بمواجهة محلية سيكون أكثر تكلفة عالميا عما يستحقه الانتصار.

ويتعين على واشنطن استغلال كل ميزة رئيسية في المنافسة السياسية والاقتصادية مع بكين، وكذلك في المنافسة العسكرية.

ويؤكد كوردسمان أن الاعتماد على العسكريين ليس فقط أمرا مكلفا من ناحية أن مكاسبة المدنية ضئيلة للغاية، ولكنه أيضا يمثل مخاطر جسيمة بالنسبة إلى العبء الذي يثقل به الإنفاق العسكري كاهل الاقتصاد القومي، والتكاليف التي يمثلها أيّ صراع ميداني كبير بالنسبة إلى الولايات المتحدة وشركائها الاستراتيجيين، وخطر حدوث تصعيد لحرب نووية، وإن كان محدودا.

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

زعيم السنة في العراق كما تريده إيران

محمد الحلبوسي

أفندي معتدل بجوهر سياسي طائفي

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

مر خبر اللقاء الذي اكتفت وكالة الأنباء الرسمية التركية "الأناضول" بنشر سطر واحد عنه مع صورة رسمية لاستقبال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لرئيس البرلمان العراقي محمد الحلبوسي، سريعا. ليس لأنه لا يمتلك أهميته الإخبارية، بل لأنه جاء قبل أربعة أيام، فقط، من ضجيج الانتخابات البرلمانية العراقية، فضاعت دلالته السياسية وسط صخب التنافس، مع أنه يعبّر بامتياز عن حقيقة ما يحصل في رسم مستقبل العراق من غير أبنائه ومن قبل دول الجوار.

استقبال أردوغان للحلبوسي هو صورة طبق الأصل عن استقبال المرشد الإيراني علي خامنئي لنوري المالكي أو مقتدى الصدر أو عمار الحكيم أو هادي العامري. ذلك هو ببساطة المشهد السياسي العراقي، مع أن الكلمة الأخيرة لا تعبر بدقة عنه إلا إذا استبدلناها بالطائفي.

عندما يطالب ضيوف الأب ريكان الحلبوسي دائمو التردد على قصره الفخم في الأنبار، بكبح جماح ولده محمد وإعادته إلى جادة الصواب الوطني وعدم الانقياد إلى أحزاب إيران في العراق، تأتي المفاجأة برد صار يتكرر في مجلس الشيخ ريكان «ليس للوالد أيّ سلطة على ولده»

إلا أن الكاتب السياسي العراقي مصطفى سالم وصف لقاء أردوغان مع الحلبوسي بأنه لم يكن ذكيا، فلا هو يعبّر عن وجود النفوذ التركي فعلا في العراق، ولا هو يصنع مرجعية سياسية للسنة.

وقال سالم في تصريح لـ "العرب" إن "هذا اللقاء في أنقرة لا يغطي على استحواذ إيران على المشهد العراقي برمّته باستثناء كردستان، فالحلبوسي ومثله خميس الخنجر مرتبطان بقوة بطهران بوصفها اللاعب الأهم في ما يحدث في العراق"، مؤكداً على أن الحلبوسي والخنجر يمثلان زعامة للشارع السني كما تريده إيران وليس كما يحب أن يكونا عليه.

ومع ذلك يمكن أن يعبّر لقاء أردوغان والحلبوسي عن اللاتغيير، وعن دور دول الجوار في الدورة السياسية المستمرة في الدوران على نفسها في العراق.

ثم ما سيقوم به رئيس البرلمان العراقي سواء بعلاقة المصالح المتواطئة على الفساد مع الأحزاب الشيعية المرتبطة بإيران أو بعلاقته مع تركيا الطامحة إلى دور أكبر في العراق تنافس فيه الدور الإيراني الطاغي.

عقلية عشائرية

نسبة المقاعد، المرتفعة نوعاً ما، التي حقّقها تحالف "تقدّم" برئاسة الحلبوسي في الانتخابات البرلمانية لا تمكن قراءتها إلا بنفس المنظار السياسي الذي يقرأ به حصول تحالف المالكي على عدد مقاعد مقارب. فالتحالفان، بغض النظر عن طبيعة العلاقة بينهما، يمثل كلٌ منهما للآخر المعادل الطائفي. وحتى لو أغدقنا عليهما ما يعادل الأموال الانتخابية التي أنفقها الحلبوسي والمالكي لجلب الأصوات فلن يمتلكا أدنى درجات الوطنية العراقية، لسبب في غاية البساطة يعود إلى ما كانت تتقدم به في كل خطابهما السياسي مفردتا "سني و شيعي" على عراقي.

مهما يكن من أمر، فقد نجح رئيس البرلمان والسياسي الصاعد ابن الـ40 عاماً بتحقيق نتائج مع نحو أربعين مقعداً، ما قد يجعل منه القوة الثانية في البرلمان. وهو كما يبدو يمتلك سعادة مضاعفة بهذا الفوز تتقدم فيها غبطته بهزيمة غريمه الخنجر الذي جمع تحالفه "عزم" أقل من نصف مقاعد "تقدّم"، وذلك وفقا لطبيعة العقلية العشائرية التي تستحوذ على تفكير الحلبوسي. ففوز تحالفه يمثل بالضرورة هزيمة شخصية للخنجر.

من السهل بمكان التوصل إلى هذه النتيجة بمجرد العودة إلى رسائل الشتائم المتبادلة بين الرجلين المتحدرين معا من نفس محافظة الأنبار. وقد كشفت تلك الرسائل التي سبقت الانتخابات أن القيم السياسية ومفاهيم المعارضة والسلطة مجرد لغو فارغ في العراق اليوم عندما تتقدم عليها الضغائن الشخصية والكراهية والتقاتل الشرس على المكاسب.

كتب الحلبوسي في رسالته إلى الخنجر "حاولت أن أصدقك أكثر من مرة وأغضّ النظر عن نباح كلابك ومغامراتك بأهلنا لعلّ وعسى ينصلح حالك". فردّ الخنجر على رسالة الحلبوسي بالقول "لستُ بحجمك ووزنك حتى أستخدم نفس الألفاظ، لكني أعدك أنني سأبقى مدافعا عن حقوق أهلي التي ضيّعتَها خوفاً على منصبك الذي أورثك ذلاً يسمح لك بالتطاول على شركائك في المكوّن فقط، بينما لم نسمع لك إلا الخنوع والتصفيق أمام الآخرين".

وعاد الحلبوسي وخاطب الخنجر بالقول "قررت ولستُ مترددا أن أتصدى لك ولمؤامراتك الرخيصة، ولن أسمح لك ببيع ما لا تملك، وتأكد بأنك لو ملكت مال قارون ستبقى تابعا ذليلا صغيرا، وسأعيدك بإذن الله إلى حجمك الذي تستحقه".

فطالب الخنجر في رده على الحلبوسي بتذكر فضله عليه قائلا "أنا الذي أوصلك إلى مكانك الزائل، وأنا بقوة الله من سيعيدك إلى حجمك الصغير".

تأمّلْ! لا يوجد بينهما من يدافع عن قيمة وطنية وعراقية، الحديث في كل ما تضمنته الرسائل عن المكون والأهل والعشيرة وليس عن العراق والوطن والعراقيين، ذلك ما تقوده طريقة التفكير التي تعبر عن حقيقة العلاقات بين السياسيين العراقيين بمن فيهم رجال الدين بقطع النظر عن طوائفهم ومواقعهم.

الحلبوسي ليس طائفيا!

رد زميل صحافي مقرب من الحلبوسي على مقال سابق لي نشر في "العرب" ركزتُ فيه على التمثيل الطائفي المتقدم على أي اعتبار وطني في كل ما يحدث في المنطقة الخضراء، بفيديو من إحدى جلسات مجلس النواب يسعى فيه لإثبات أن الحلبوسي ليس طائفيا.

يرفض الحلبوسي في الفيديو استخدام كلمتي "سني" و"شيعي" في نص قرار موضع جدل بين أعضاء المجلس، متذرعا بأن هاتين الكلمتين لم تستخدما أبداً في تاريخ الدولة العراقية، ولذلك لن يسمح بهما.

كلام الحلبوسي هذا جزء من الكوميديا الرثة واستغفال العقول عمّا يحدث في العراق المبني منذ عام 2003 على تقسيم طائفي يوضع فوق أيّ اعتبار وطني. أما زميلي الصحافي الذي يدافع عن عدم طائفية الحلبوسي فيتجاهل عن عمد أنه لم يوضع في منصبه هذا لكونه عراقيا، بل لأنه سنّي تماما مثلما وضع الكردي برهم صالح في رئاسة الجمهورية والشيعي مصطفى الكاظمي في رئاسة الوزراء.

من السهولة تفنيد فكرة أن الحلبوسي ليس جزءاً من منظومة طائفية حاكمة في العراق، بالنظر الى أن مبنى الوقف الشيعي الذي

● لعبة التنازلات التي يسميها «المساومات» تعلّمها الحلبوسي ليصبح وهو في عقده الرابع «صانع ملوك»

● الحلبوسي يمثل زعامة للشارع السني كما تريده إيران وليس كما يحب أن يكون عليه

لا يبتعد كثيراً عن بناية البرلمان الذي يجلس على أعلى كرسي فيه، مثل مبنى الوقف السني. بينما وزارة الأوقاف الجامعة مُحيت تماماً من التاريخ السياسي اللاطائفي الذي يتحدث عنه الحلبوسي.

تجربة الحلبوسي المرتبطة بعمره تساعدنا على فهم أنه يصعب عليه استلهام القيم التاريخية في الوطنية العراقية، خصوصاً تلك التي لم يعشها وذلك ليس ذنبه في كل الأحوال، فالرجل كان عمره سبعة أعوام عندما انتهت الحرب العراقية الإيرانية عام 1988، فلم يعش بوعي ذلك التاريخ الفاصل في تاريخ بلاده إلا بما يقرأه ويروى له، وهو في كل الأحوال لا يكفي. وهذا يفسّر لنا علاقة تبادل المنفعة للحلبوسي مع الأحزاب الشيعية المدعومة من إيران.

كما أن تعامله مع القوات الأميركية عند احتلال العراق كمترجم في أول الأمر، ثم كمهندس مقاول في مشاريع بمحافظة الأنبار، مثلت تنازلا مريعاً في القيم الوطنية، فيما بلده كان ينهار أمام عينيه تحت سرقات دبابات المحتل.

الشيخ ريكان الحلبوسي الذي سبق له وأن عمل مديراً عاما في ديوان الرئاسة في عهد الرئيس الراحل صدام حسين، كان له الأثر الكبير في تشكيل شخصية ولده محمد وفي إعداده نفسياً وسياسياً لدخول المعترك الأصعب والمنافسة في الوسط السياسي السني أولاً، ثم الارتقاء إلى مرحلة أعلى لاحقا. لكن اليوم عندما يطالب ضيوف الأب دائمو التردد على قصره الفخم في الأنبار بكبح جماح ولده وإعادته إلى جادة الصواب الوطني وعدم الانقياد الى أحزاب إيران في العراق، تأتي المفاجأة برد صار يتكرّر في مجلس الشيخ ريكان "ليس للوالد أيّ سلطة على ولده".

بينما يقابل ذلك أن الحلبوسي الابن الذي كان يكنّى بأبي ريكان على اسم ولده البكر الذي سمّي على اسم جده، صار يكنى اليوم بأبي يوسف أصغر أولاده من زوجته الثانية. هكذا تعلم الحلبوسي لعبة التنازلات التي يسميها المساومات من أجل أن يصبح وهو في العقد الرابع من عمره "صانع ملوك".

مصطفى كامل

التكتلات السنية نتاج المشروع السياسي الأميركي – الإيراني في العراق

واليوم إذ يندفع في التحالفات التي تنفذ أجندة إيران في العراق، فهو يستمر في نفس التنازلات التي قدّمها منذ تقلده منصب محافظ الأنبار عام 2014 ثم عضواً في البرلمان العراقي إلا أن تم اختياره، بدعم من الأحزاب الشيعية الموالية لإيران، رئيساً للبرلمان في الدورة السابقة 2018 كمفاجأة فُضّل فيها على منافسه رئيس البرلمان الأسبق أسامة النجيفي ووزير الدفاع الأسبق خالد العبيدي. وقد كشفت تلك المفاجأة عن طموحه السياسي في تمثيل السنة وفي التقسيم الطائفي القائم.

واعتبر المحلل السياسي مصطفى كامل التكتلات السنية، بصرف النظر عن مسمياتها، نتاج المشروع السياسي الأميركي – الإيراني في العراق القاضي بتقسيم العراق إلى مكونات طائفية وعرقية.

وأكد كامل في تصريح لـ"العرب" أن الكتل والتحالفات لا يوجد لديها ما يمكن أن تقدمه على الصعيد الوطني، إذ أنها حصرت نفسها منذ مجلس الحكم بعد عام 2003 في الإطار الطائفي وفي مناطق محددة بعينها.

في النهاية، الحلبوسي الذي لا يخفي البعض من العراقيين إعجابهم بأناقته كأفندي وسط رجال الدين السنة والشيعة، مع أنه ليس مثل المالكي الذي تعلّم شد ربطة العنق في وقت متأخر من دخوله المنطقة الخضراء، لا يمثل النموذج الوطني الذي تنتظره البلاد، سواء أراد ذلك أم عجز عن الوصول إليه، لأنه خاضع لتقسيم طائفي لا يمكن العبور عليه وفق اتفاقات المنطقة الخضراء المبرمة بين السياسيين الفاسدين. وسيبقى الحلبوسي السني وليس العراقي، في منصبه كرئيس للبرلمان المتوقع التجديد له في الدورة الجديدة.

كما ستكشف لنا عمليات التواطؤ بينه وبين زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر أن ما ينتظر العراق خلطة طائفية مستمرّة، آخر شيء فيها قيم الوطنية العراقية التي تم التخلي عنها منذ أن صار العراقي يعّرف نفسه بطائفته.

الفنانة المتجددة وهي تعيش يوما أسطوريا

سيمون فتال
مرة أخرى ودائما

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بعد معرضها "نسيم فوق المتوسط" الذي أقامه معهد الفنون المعاصرة في ميلانو الإيطالية بالتعاون مع مشروع بومبيي للشؤون الأثرية تقيم الفنانة سيمون فتال معرضا شخصيا لأعمال النحت الفخاري في غاليري "وايت تشبيل" بلندن بعنوان "إيجاد طريق".

و"وايت تشبيل" هي صالة عرض مغامرة تعرض بجرأة تجارب الفنون المعاصرة في ضاحية تمتزج فيها الهويات التي تتجدد بقوة الشباب من سكانها وحيويتهم. وهو ما يعني أن ابنة الثمانين ذات الأصول الشامية تتحدى بقوة أدائها الفني وشحنة خيالها التعبيري صناع الفنون الجديدة في معقلهم الذي خص "الطين المفخور" بمعرض كبير توزعت أعماله بين مختلف أنواع الفنون المعاصرة "المفاهيم والتجهيز وفن الأرض وفن الفيديو".

الحروب تُنسى ويبقى الفن

فتال فنانة متعددة الانشغالات، فهي رسامة ونحاتة وخزافة ومصورة وكاتبة ومترجمة وناشرة. وفي كل ما تقوم به تسعى لأن تكون طليعية في أسلوبها وفكرها. لا تتأخر عن زمنها بل تسبقه. عاشت حياتها مسافرة لا تبحث عن مأوى أو وطن بديل جاهز بل عن المعرفة. ذلك النوع من الخبرة التي لا تكفي الكتب التي تحبها لتقديمها كاملة.

وبسبب سفرها الدائم فقد كانت علاقتها بالمكان مزيجا من الأفكار والروائح والأصوات والأشكال التي لا تنتمي إلى مدينة بعينها بقدر ما تنتمي إلى العالم الذي خلقته سيمون بنفسها وصارت تحمله معها أينما ذهبت وهو العالم الذي تنبعث منه رؤاها الخلاقة.

أما علاقتها بالزمن فهي الأخرى مرآة لبنيتها الاجتماعية والثقافية. ذلك لأن فتال هي ابنة علاقة امتزجت فيها الهويات العربية والعثمانية والنمساوية، إضافة إلى أن امتزاجها بالثقافات الأخرى فتح أمامها الأبواب للولوج إلى هويات صارت تلقي أبعادها على مزاجها الثقافي الذي هو مزاج شعري في الأساس. ذلك ما يفسر علاقة فتال بالإغريق والرومان على سبيل المثال.

في عالم الجن والخرافة

فتال وفنها هما الشيء نفسه. ما يصلح عليها يصلح على فنها. وهو فن يصعب القبض عليه في لحظة تعبير بعينها لا لأنه تجريدي في جزء منه وحسب بل وأيضا لأنه يتماهى مع بعد إنساني هو أكبر من الدافع المباشر الذي يقف وراء الإلهام. بمعنى أن الفنانة التي تركت الحرب الأهلية اللبنانية (1975 ـ 1990) أثرا عميقا في نفسها وفي فنها نجحت في أن تضفي على ذلك الأثر طابعا شموليا. وهو ما ساعدها على تحرير أعمالها من الارتباط بالأحداث الزائلة.

ولدت عام 1942 في دمشق. في جامعة السوربون بباريس درست الأدب والفلسفة. في بادئ الأمر انصبّ اهتمامها على الأدب. تقول "حين كنت صغيرة، كان الأدب أهم شيء في حياتي". لذلك تأخرت في اكتشاف الرسم الذي انغمست فيه بدءا من عام 1969، من خلاله تعرفت على عالم جمالي مختلف. بعد خمس سنوات من اندلاع شرارة الحرب الأهلية في لبنان، أي عام 1980، سافرت فتال إلى الولايات المتحدة وأسست دار نشر "بوست أبولو برس" بعد أن كانت قد توقفت عن الرسم بسبب شعورها بالعجز أمام أهوال الحرب وما انطوت عليه من قبح. من خلال دار النشر اهتمت الفنانة بالأدب النسوي وترجمت كتابين من الفرنسية إلى الإنجليزية كما أنها ألّفت كتابا عن فن رفيقتها إيتيل عدنان، عنوانه "الرسم محض طاقة".

فتال فنانة متعددة الانشغالات، فهي رسامة ونحاتة وخزافة ومصورة وكاتبة ومترجمة وناشرة. وفي كل ما تقوم به تسعى لأن تكون طليعية في أسلوبها وفكرها

ترجمت عددا من الكتب العربية إلى الإنجليزية، كان بعضها ذا صلة بالتصوف. في تلك الفترة اكتشفت ملحمة "الأميرة ذات الهمة وابنها عبدالوهاب" وهو العمل الأدبي الذي أعادها من خلال إلهامه السحري على العودة إلى الفن، حين تحولت مفرداته بين يديها إلى عناصر شكلية ذات طابع رمزي في تركيب بنية أعمالها. حدث ذلك عام 1989.

لقد فتحت تلك الملحمة أمامها أبواب عالم فاتن تتقافز في فضاءاته الخيول والجن والمحاربون ذوو المصائر المتقاطعة. الشيء الذي تعلمته الفنانة من عالم الأسطورة سينعكس على طريقة معالجتها للمواد التي تستعملها وبالأخص الطين. تجريدا وتشخيصا كانت أشكالها تنهل من الخرافة، بل كأنها تسعى لإقامة عالم خرافي موازٍ لعالمنا.

وبسبب تشبعها بإيحاءات عالم الخرافة صارت الفنانة تخلق أشكالا، هي أقرب إلى أن تكون كيانات وهمية، بحيث يشعر المرء كما لو أنها خلقت على عجل وهي في طريقها إلى الاختفاء، كما تفعل كائنات الحكايات الخرافية.

تجمع فتال بين ما تتذكره وما تتخيله. ذلك تفسير مؤقت للغموض الذي يتخلل أعمالها ويغلفها بطابع استفهامي رقيق. فالفنانة لا تميل إلى الحلول النهائية وهي تعرف أن ما ينتظرها من مفاجآت هو أكبر مما مرّ بها من علاقات شكلية استطاعت أن تؤلف منها عالمها البصري الذي لا يزال يجمع بين الشكل واللاشكل وبين التجريد والتشخيص.

إن تمكن المتلقي أن يلتقط خيط الشقاء الذي يقود إلى الكائنات المنحوتة فإن الغموض سيكون عبارة عن الإيقاع الذي يرافق خطواته وهو يدخل إلى الأماكن التي غادرتها الفنانة غير أنها ظلت مقيمة فيها بخيالها وذاكرتها معا. شيء من الخوف البدائي يبدو ممسكا بالأشخاص كما لو أنهم ما زالوا أسيري تلك اللحظة التي أنهت صلتهم بأسباب الحياة وكل لذائذها.

لا يزال الموت مهيمنا على أعمال فتال. رأت الموت وهربت منه غير أنه ظل يلاحقها بكوابيسه وأشباحه وحكاياته وقلق ساعاته الأخيرة. وهي لذلك لا تهتم كثيرا بما تعنيه أعمالها الفنية على مستوى رمزي. فالعمل الفني بالنسبة إليها يُقيم في لحظة الفجيعة التي اخترعته. وهي لحظة تظل صادمة.

عراكها مع الشياطين

يصف الشاعر التونسي خالد النجار كائناتها بأنها "مخلوقات بدائية تنهض من أعماق الماضي المظلمة لتقف بإصرار وتحد خارج الزمن". ويعتقد النجار بأن أعمالها "تحمل بصمة البدائي والطفل. قوة التلقائية والمباشرة". وهو يرى أن "أعمالها لا تحيل إلى مرجع ولا تذكّرك بشيء سبق أن رأيته لأنها قادمة من ليل الأعماق"، لذلك فإن أيّ عمل من أعمالها التي تظل محتفظة بالكثير من غموضها لا يحتاج إلى تفسير لكي يفرض فتنته على الذائقة الجمالية.

فتال فنانة عالمية عرضت أعمالها في مختلف أنحاء الأرض. تعرف أن هناك شيئاً اسمه "فن العيش". هو ما تعلمته من كائناتها التي لا تزال تقاوم بالرغم من أنها لم تعد راغبة في الاستمرار في تمثيل دورها التقليدي في الحياة. تفضل تلك الكائنات أن تكون موضوعا جماليا على أن تكون جزءا من موضوع واقعي قابل للتهديم والتهميش والإبادة والفناء. تلك صورة بلدها الأصلي سوريا. ففي مواجهة حياة مرتجلة كالتي عاشتها فتال سيكون الحديث عن بلد أصلي أمرا صعبا.

يشعر المرء وهو ينظر إلى تماثيل فتال أن تلك التماثيل قد نجت من حريق هائل كاد يفنيها. لقد نجحت الفنانة في إنقاذها من موت محتم. ألا يعبّر الطين المفخور عن انصهار العناصر المادية والنفسية كما لو أنها قد تعرضت للتحولات الداخلية نفسها؟

حين أقام متحف الفن الحديث معرضا استعاديا لأعمالها عام 2019 كتبت منسقة المعرض من أجل تقديمه "لم تكن أعمالها بعيدة عن الأرض أبدا. فقد ظهرت مشروعا غير مكتمل لسرد قصص التاريخ القديم بشخصيات مأخوذة من مراجع مركزية مثل ملحمة جلجامش والأوديسة وذات الهمة وغيرها".

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

حطموا «أصنام» نيتشه.. ولا تصنعوا أصناما جديدة

نهلة راحيل
كاتبة مصرية

إذا كان تشييد التماثيل يأتي لتخليد ذكرى شخص وتكريم ما يجسده من أهمية تاريخية في الخطاب الرسمي/السلطوي، فإن تحطيمها أصبح ظاهرة متكررة يُقدم عليها الثائرون المحتجون على السياسات العنصرية التي تنتهجها الأجهزة القمعية التابعة للسلطة في العديد من بلدان العالم الأوروبي والعربي على حدّ السواء، ويرمز فعل التحطيم المادي في العادة إلى التفكيك الأخلاقي لما تحمله تلك التماثيل من "قيم" غرستها السلطات وخطابها المعرفي -كرها- في وعي شعوبها بوصفها جزءا من أحداث تاريخية مؤثرة في مسار الدول.

أبرز حوادث الهدم ما وقع مؤخرا في الولايات المتحدة الأميركية عندما أقدم الغاضبون من مقتل المواطن الأميركي ذي الأصول الأفريقية جورج فلويد، على يد شرطي "أبيض" قام بالضغط على عنقه لمنعه من الحركة أثناء الاعتقال فأودى بحياته خنقا، على تحطيم عدة تماثيل ترمز في أذهانهم إلى سياسات استعمارية عنصرية تكرّس لتفوق الأبيض وأحقيته في "إصلاح" البشرية والتعامل مع السود والملوّنين كمواطنين من درجة أدنى.

سقوط «التماثيل» لن يتم إلا بسقوط «الأصنام» الفكرية ونظريات الاستعلاء التي تعضدها، وبإدراك الجميع أنها بالفعل «أصنام»

وبدلا من هدم التماثيل كمحاولة لإزالة رموزها العنصرية من الإرث التاريخي، قد يقبل الثائرون على بناء تماثيل لضحايا العنصرية كي تجابه التراتبية الغربية وتتجرأ على خلخلتها، لتصبح بمثابة استراتيجية بديلة تزيح المعايير السلطوية عن المركز، وتطرح مفاهيم مضادة تقاوم كل السياقات التي تخدم التفوق الثقافي الغربي على ثقافة الآخر. ويمثل فعل البناء -في تلك الحالة- تمردا مدفوعا بالإيمان بأن النصب تمجد السيادة البيضاء على مجرى التاريخ، وهو ما آن الأوان لتغييره.

من أمثلة هذه الحوادث ما وقع في فيينا عندما قامت مجموعة من النشطاء بمنظمات حقوق الإنسان بوضع نصب من البرونز وسط العاصمة فيينا للتذكير بما حدث للاجئ النيجيري ماركوس أموفوما الذي مات أثناء ترحيله من النمسا إلى بلغاريا بعد أن قام الشرطي المسؤول عن ترحيله بتكميم فمه لمنعه من الصراخ، ليصبح رمزا لتجارب التمييز العنصري التي تعرض لها المهاجرون الأفارقة في دول أوروبا.

وهنا تجسد ثنائية الهدم/البناء نوعا من "العنف الشرعي"، كما أسماه فرانز فانون الذي يجابه الأنظمة المستبدة ويفكك أدواتها بهدف تحطيم المركز وتأسيس الهامش، ومن ثم التخلص من كافة أشكال الهيمنة سواء الداخلية/النفسية أو الخارجية/السياسية. ولأن العنف "المؤسسي" يُمرر غالبا عبر الثقافة بصورها المتباينة، فإن العنف "الشعبي" المضاد يمكنه أن يؤسس لنفسه ثقافة بديلة تنبعث من المقاومة التي تكفل له "التحرر" من سلطات الاستبداد من جهة، ومن الصورة النمطية الزائفة التي أضفتها تلك السلطات عليه من جهة ثانية، لتصبح عملية الهدم/البناء -بما تنطوي عليه من طقوس عنف- خطوة وظيفية الهدف منها هو تحقيق الاعتراف بالهويات المهمّشة أو المنبوذة وبحقها في العدل والكرامة.

فهذه الآلية إذن هي بمثابة تمرّد على ما تمارسه مؤسسات الدولة من "عنف إبستمولوجي" -وفق تعبير جياتري سبيفاك- في حق الفئات المهمشة التي تسعى إلى إسكاتها ثقافيا وتمثيلها وفق محددات تعيينها بنفسها؛ حيث تحاول فئات الشعب المستبعدة أن تعبر بوعيها الخاص عن ذاتها، دون أن تخضع للإطار الذي حدده لها المجتمع، فيصبح الهدم -في حد ذاته- إعادة بناء إبستمولوجي يقوم به "التابع" لنفسه بعيدا عن التصورات التي يبنيها "أصحاب السلطة" عنه، فيقوم، ردا على جراحات التمييز والعنصرية الممارسة ضده، باختراق كافة القيود المجتمعية دون اعتبار للتبعات المترتبة على هذا الاختراق.

ويبقى التساؤل المُلّح: هل تدمير/تشييد التماثيل يمكنه أن يصحح ذاكرة التاريخ أو يقوم بمراجعتها، لترسيخ وجود ما تقبله الشعوب ومحو ما ترفضه، بالأخص في ظل تغير رمزية بعض تلك المنحوتات مع تغير قيم المجتمعات من عصر إلى آخر؟ ففي الغالب، إن إزالة بعض التماثيل أو وضع بدائل لها لن تؤدي دورها المنشود في تحديد هوية الشعوب وذاكرتها الجمعية إلا إذا رافقها تغير في وعي الأفراد -الحاكمين والمحكومين- وإدراكهم بأنه لا أحد يجب أن يحيا كما أراد له الآخرون، فسقوط "التماثيل" لن يتم إلا بسقوط "الأصنام" الفكرية ونظريات الاستعلاء التي تعضدها، وبإدراك الجميع أنها بالفعل "أصنام" يجب تحطيمها وعدم الإصغاء إلى "أصنام" جديدة.

ولعل هذا المشهد يحملنا إلى "أصنام" نيتشه التي تعني -وفق وصفها في كتابه "أفول الأصنام"- التصورات الوهمية التي يعيش الإنسان معتقدا أنها هي الحقائق المطلقة، ولذلك عليه تحطيم كل تلك "الأصنام" التي خلقها على مرّ العصور وآمن بها، ومحاولة تفكيك قدسيتها بعيدا عن الوصاية الأخلاقية أو الدينية أو السياسية. أبرز نماذج تلك "الأصنام" -في رأيه- القوالب الأيديولوجية النمطية التي ترسخ لفكرة تمجيد بعض القطاعات البشرية -كرجال الدين أو الفلاسفة أو الساسة الأوروبيين- وتخويلهم سلطة "إصلاح" البشرية بدافع امتلاكهم للخطاب المعرفي أو للحكم الأخلاقي أو الديني.

ولذلك فإن الإنسان الذي "يُصلحه" الساسة أو رجال الدين أو غيرهم من ذوي "القوامة" الثقافية أو الأخلاقية أو الدينية داخل المؤسسات المهيمنة في المجتمع، يتم في الواقع "إضعافه لجعله أقل قدرة على الضرر، وتحويله عن طريق الأحاسيس المحبطة، كالخوف والألم والجوع والعقاب، إلى إنسان مريض مهموم ناقم على نفسه وممتلئ بالريبة تجاه كل ما قد يجعله سعيدا أو قويا". ففي الوقت الذي تدّعي فيه أجهزة الدولة أنها قد "أصلحت" الإنسان، فإنها صاغته بناء على ما استقر لديها من سلوكيات الهيمنة تجاه شعوبها التي تحاول الاستحواذ عليها، حتى إن كانت "الوسائل التي تستخدمها لجعل البشرية أكثر أخلاقية، جميعها لا أخلاقية في الأساس".

هذه الهويات المذوّتة تحاول -من وقت إلى آخر- التحرر من التبعية وإثبات وعيها خارج طوق التذويت الذي تنحصر داخله، فتلجأ إلى التمرد على "العنصر المتفوق" وتحاول تحطيم "الأصنام" التي أحاطت بعقولها لفترات ماضية. وهنا ينبغي عليها ألا تخلق -أثناء ذلك- أصناما جديدة تصنعها أوهامها عن وجودها الخاص، فتتعصب لها بوصفها حقائق مطلقة، فوضعية التمرد على الوضع الماضي/الكائن لا يجب أن يرافقها إضفاء القداسة على وضع جديد/ممكن.

وهو ما يستدعي في الذهن طرح الفيلسوف الفرنسي فرانسوا ليوتار في دعوته ألا تقدم السرديات/الأصنام المضادة نفسها بوصفها سرديات/أصنام كبرى بديلة، لتتحول بذلك إلى مركز بديل يمارس الإقصاء والعنف ضد غيره. ولذلك، عليها ألا تدعي الشمولية والكمال بل يجب أن تتعامل مع أحداث تاريخية محددة ووضعيات خاصة تسعى إلى انتقادها وكشف تحيزاتها وتقويض أدواتها، ثم تفكك ذاتها بعد تحقيق غايتها دون أن تستأثر لنفسها بسمة "المركزي" وتهمّش غيرها من الخطابات أو الأيديولوجيات.

في هذا السياق، يعد تبنّي مفهوم التعددية الثقافية بشكل يؤدي إلى قبول الاختلاف بين الانتماءات المختلفة، هو الوسيلة الآمنة التي تتيح التفاعل بين الهويات، بالأخص داخل المجتمعات التي تتكون من هويات متصارعة. فإذا أدركت المجتمعات -أفرادا وحكومات- أن تكوين بنية ثقافية تعددية يتيح دعم التفاهم بين الثقافات دون صدام، وينفي التصنيف التراتبي للبشر الذي يعطي الأفضلية لنموذج بعينه على النماذج الأخرى، هو المخرج الذي قد يذيب الفروق الإقصائية القائمة على اللون أو الدين أو النوع أو الأصل وغيرها من أشكال التمييز العنصري، فعندئذ سيكون أفول "الأصنام" الخالدة التي تشيدها كل فئة عن نفسها وعن الآخرين، مهمة أكثر سهولة.

استنطاق الأصنام الخالدة

هيجل الفيلسوف العنصري الذي لن تغفر له أفريقيا

عبدالكريم نوار
كاتب مغربي

يقدم فرانز فانون تصور فريديريك هيجل حول أفريقيا وهو تصور مليء بالنعرات العنصرية؛ نجد ذلك في تعريفه للقارة السمراء إذ يقول: إنها قارة مقطوعة عن التاريخ. على الأقل منطقة الصحراء الكبرى وهي الصورة التي تقطع القارة (بصورة طبيعية) إلى جزأين: أفريقيا مقطوعة عن العالم ومحدودة بجغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها غير الإنسانية، غابات كثيفة لا نهاية لها، الزواحف والأفاعي والبعوض وقردة الغوريلا، ذلك الحيوان الهجين بامتياز، لا تصور العمود الفقري لأفريقيا، بل جوهرها ومعناها أيضا.

يؤكد فانون في قراءته لهيجل أن الأفريقي شخص مصلوب، لا ثقافة له ولا حضارة، وبهذا العراء يكون وجود الزنجي وكينونته عقدة نقص له لا تفارقه، وتنشأ هذه العقدة لدى كل شعب يمر بتجربة موت أصالة الثقافة المحلية، "إن أفريقيا محكومة بأن تظل خارج منطق التاريخ.. تاريخ يغفو في أفريقيا والعقل يتحرك دون أن يتقدم".

يرى كلود لفي ستراوس أن هذا الموقف أكثر كلاسيكية وهو يستند إلى أسس نفسية لا علاقة لها بالعلمية ولا بالواقعية، وهدفها التعبير عن الرفض الكامل لأشكال الثقافة الأخلاقية والاجتماعية والدينية والجمالية البعيدة كل البعد عن القيم التي يعتنقها. فتعابير مثل "عادات المتوحشين" و"الواقفين خارج التاريخ" التي يقول بها هيجل والكثير من ردود الفعل الفظة التي تعبر عن القشعريرة والتقزز أمام أساليب العيش والاعتقادات الأخرى التي تختلف عن الثقافة الغربية.

يمكننا أن نقول مع ستراوس إن العنصرية متأصلة في بعض الثقافات الغربية (الثقافة اليونانية والرومانية مثالا) التي كانت تجمع كل ما لا يشترك مع ثقافتها تحت مفهوم "بربري"، وفي ما بعد استعملت هذه الحضارة مفهوم "متوحش" بالمعنى ذاته. فمن المرجّح حسب ستراوس أن كلمة "بربري" يلفها الغموض من الناحية اللغوية، ولا تعبر عنده إلا على المتوحش الذي أتى من الغابة. وهدفه التذكير بنوع من الحياة الحيوانية المتناقضة مع الثقافة الإنسانية.

في كلتا الحالتين ترفض القبول بواقعة تنوع الثقافة، وتفضل أن ترمي بالآخرين خارج الثقافة، أي في الطبيعة. يقول ستراوس "إن هذا الموقف الفكري الذي يرمي باسمه 'المتوحش' خارج الإنسانية هو تماما الموقف الأبرز والأكثر تميزا لهؤلاء المتوحّشين أنفسهم، بالفعل نحن نعلم أن فكرة الإنسانية التي تشمل دون تمييز في العرق والحضارة، كل أشكال النوع البشري لم تظهر سوى متأخرة جدا ولم تعرف إلا انتشارا محدودا".

يؤسس ستراوس لهذا الموقف أنثروبولوجيا عندما يؤكد على أن الإنسانية عند الشعوب القديمة تتوقف عند حدود القرية، التي يشير فيها هؤلاء السكان إلى أنفسهم بـ"الناس" وأحيانا يقولون بكثير من الرصانة "الطيبون"، "الممتازون"، "الكاملون"، الأمر الذي يعني أن القبائل والمجموعات والقرى الأخرى لا تشترك في هذه الفضائل الإنسانية، لكنها تتألف من "السيئين" ومن "الأشرار" ومن "قردة الأرض" من هنا نلاحظ كيف تأسس الموقف الهادف إلى حرمان الأجنبي من الحقيقية الأخيرة إذ يجعل منهم شبحا أو خيالا. هكذا تتحقق أوضاع غريبة حتى يتبادل المتحدثان الرد بقساوة.

ويقدم طرفة مضحكة ومأسوية في نفس الآن، مفادها أن في بلاد الأنتيل الكبرى بعد عدة سنوات من اكتشاف أميركا، حينها كان الإسبان يرسلون بعثات التحقيق للبحث في ما إذا كان السكان الأصليون يملكون روحا أم لا، كان هؤلاء يعمدون إلى إغراق السجناء في المياه وذلك لكي يتحققوا عبر المراقبة الطويلة، عما إذا كانت جثتهم عرضة للتحلل أم لا.

أفريقيا محكومة بأن تظل خارج منطق التاريخ، تاريخ يغفو في أفريقيا والعقل يتحرك دون أن يتقدم

وعليه فإن هذه الطرفة النافرة والمأسوية تبرز بوضوح المفارقة العنصرية، ويرد ستراوس على هذا النوع من التفكير العنصري بقول صريح وواضح "فبرفضنا الإنسانية على الذين يبدون أكثر 'وحشية' أو 'بربرية' من ممثليها، لا نقوم إلا باستعارة واحدة من مواقفهم المميزة، منهم. إن البربري هو قبل كل شيء هو الإنسان الذي يعتقد بوجود البربرية". لم تفلت شمال أفريقيا من هذه العنصرية الهيجلية؛ قال في الجزء الأول من العقل في التاريخ "ولقد كان من الواجب ربط هذا الجزء من أفريقيا بأوروبا، ولا بد بالفعل أن يرتبط بها، ولقد بذل الفرنسيون أخيرا جهودا ناجحة في هذا الاتجاه. فهو -مثل آسيا الصغرى- يبدو متجها نحو أوروبا. ها هنا استقر القرطاجيون والرومان والبيزنطيون والمسلمون والعرب تباعا، كما ناضلت المصالح الأوروبية لكي تجد على هذه الأرض موطئا لأقدامها".

فإذا كان هيجل ينظر للاستعمار بعين الرضى، معجبا بنابليون غازيا ألمانيا، مجردا وبقساوة دخول جيوش فرنسا إلى بلاده -تجريدا فلسفيا باردا "روح العالم يمتطي صهوة جواد"- فكيف يمكن لهيجل أن يكون رؤوفا بشمال أفريقيا؟ فهو يؤيد استعمار فرنسا لشمال أفريقيا سنة 1830 لكن لماذا هذا التأييد؟ فإن كانت أفريقيا تحيل عند هيجل على "البربرية" و"التوحش"، وإن كان شمال أفريقيا قريبا من أوروبا "المتحضرة" فإن على فرنسا أن تدرج هؤلاء الذين يتموقعون خارج التاريخ إلى حركة التاريخ وذلك عبر الاستعمار.

وبناء عليه ليس هناك ما يدعو للغرابة في أن يبرر هيجل الاستعمار والتوسع الامبريالي الذي خلف الدمار والاستبداد في هذه البلدان إلى يومنا هذا، إن المنطق الهيجلي هذا نفسه الذي به تُستعمر الدول وتُستنزف.

هيجل ينظر للاستعمار بعين الرضى

ص10 تنشر كاملة على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الثقافية اللندنية

رضوى عاشور تسقط الحدود بين الأنواع والتابوهات في الرواية والثورة

«الأستاذة تتكلّم: دراسات في النقد والأدب» مشروع نقدي يفكك الرواية العربية

تحل بعد أيام الذكرى السابعة لرحيل الكاتبة والأكاديمية المصرية رضوى عاشور، التي ساهمت إنجازاتها في الرواية تأليفا ونقدا في كشف الكثير من خفاياها، في مشروع يستحق أن يستمر رغم رحيل الكاتبة، إذ يمكن البناء عليه لرسم ملامح أكثر تكاملا وانفتاحا للرواية العربية، وهو ما تصدت له في كتاب صدر بعد خمس سنوات من رحيلها.

رضوى عاشور تجعل كتاباتها أشبه بمرآة

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

تعدّ الدكتورة رضوى عاشور (26 مايو 1946 – 30 نوفمبر 2014) نموذجًا للمثقف الحقيقي أو المثقف المقاوم بتعبير إدوارد سعيد (1935 – 2003)؛ فهي تُمثل حالة خاصّة في الثقافة المصريّة والعربيّة على حدٍّ سواء. وقد ضربتْ مثالاً فريدًا بكتاباتها المتعدِّدة، الإبداعيّة والنقديّة والسياسيّة، واشتغالها على قضايا مجتمعها سواء الجامعة أو وطنها مصر أولاً وفلسطين ثانيا.

الدكتورة رضوى ينطبق عليها نموذج المثقف العضوي بتعبير غرامشي؛ فدورها لم يقتصر على عملها كأستاذة جامعيّة تنتمي إلى النُّخبة المنعزلة في برج عاجي بل هو متصلٌ اتّصالاً وثيقًا بالمجتمع وقضاياه الإشكاليّة التي جعلت منها وجهًا مقاومًا للسُّلْطة، فقدمت صورة لما "يجب أن يكون عليه المثقف" لا "ما هو كائن"، على نحو المثقف الحقيقي الذي تحدث عنه جوليان بندا والذي يمتلك الشّجاعة والجرأة على أن يكون وحيدًا ضدّ الجميع ومُجدِّفًا ضدّ التيارات كلها.

فقد تحلّت -بصفاتها الشخصية، وبكتاباتها، ومواقفها- بكل صفات المثقف الحقيقي (الحق) وإن كانت هي أقرب إلى المثقف المقاوم الذي أراده ودعا إليه إدوارد سعيد، بما يقوم به من دور في استجواب السلطة، بل وتقويضها، وأيضًا بالدفاع عن ثوابت الحقّ والعدل من خلال "فضح الفساد والدفاع عن المستضعفين وتحدي السُّلطة القائمة"، وهو الأمر الذي جعل منها أيقونة في النضال والدفاع عن المظلوم والوقوف إلى جوار الحق.

ورغم هذه الأدوار التي لعبتها الدكتورة رضوى عاشور في واقعنا لم تنسَ دورها كناقدة وأكاديمية، فقدمت العديد من الدراسات النقدية المهمّة، كما أن إبداعها لم ينقطع حتى بعد وفاتها؛ فقد صَدر لها بعد وفاتها مباشرة كتاب "الصرخة: مقاطع من سيرة ذاتية" (دار الشروق، 2015)، وهو الجزء الثاني من سيرتها الذاتية "أثقل من رضوى: مقاطع من سيرة ذاتية" (دار الشروق، 2013)، ومع حلول الذكرى الخامسة لها صدر كتاب "لكل المقهورين أجنحة: الأستاذة تتكلّم" عن دار الشروق المصرية 2019. وهو كتاب نقدي يحتوي على المقالات التي كتبتها الدكتورة الرّاحلة عبر مراحل عمرها المختلفة، لكن لم يضمها كتاب، إضافة إلى بعض المقالات المكتوبة باللغة الإنجليزية.

ومن ثمّ يعدُّ الكتاب استكمالاً لدرجات الضوء القادم من شخصية رضوى عاشور. كما يكشف عن بعض مشاريعها التي تناولتها في كتابات مستقلة، على نحو تأكيدها أن "الساق على الساق" لأحمد فارس الشدياق تعد أوّل رواية عربية، فدراستها "تاريخ الأدب ومؤسسة النقد: الشدياق مثالاً" تعد النواة الأساسيّة لكتابها "الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق، الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث".

ينقسم الكتاب وفقًا للتبويب الداخلي إلى ستة أبواب، تجمع بين الدراسات النقدية والشهادات الأدبية والكتابة على الكتابة، إضافة إلى صور (أو بورتريهات) لتأبين الراحلين من الأصدقاء؛ كإدوارد سعيد ولطيفة الزيات ونصر حامد أبوزيد وفاطمة موسى وإحسان عباس وناجي العلي وغيرهم. والشيء الجدير بالذكر أن هذه الكتابة تبعد عن الذكريات واللقاءات، حيث تقدّم قراءة واعية لمنجز الرّاحلين، بتتبُّع مسارهم الفكريّ وإنجازاتهم العلميّة، على نحو ما فعلتْ في مقالاتها عن إدوارد سعيد ولطيفة الزيات وفرانز فانون وإقبال أحمد. كما يضم الكتاب احتفاء خاصًا بثورات الربيع العربي، من خلال الشهادات، أو كتابات عن سرد الربيع العربي.

الاشتباك النقدي

لا تفصل أبواب الكتاب بين الجانب الأدبي -باشتباكاته النقدية- والجانب السياسي وأيضًا الذاتي؛ فثمة حضور قوي لمقالاتها السياسية، سواء تلك التي كانت دفاعًا عن القضية الفلسطينية، أو ما تعلق بقضية استقلال الجامعة التي ترى أن السبب الرئيسي لهذا التردي الذي أصابها يتمثل في حصارها، ثمّ حديثها عن الثورة المصرية. وهي في هذه الكتابات تمزج بين التاريخي والأدبي، فتسجل للصراع العربي – الإسرائيلي، وتقدّم تمثيلات لهذا الحضور من الأدب العربي، وبعضها يكون أشبه بالتسجيل للوقائع كحيلة لتذكير الأجيال الجديدة بوحشية الكيان الصهيوني، فتكتب عن تاريخ مذبحة صبرا وشاتيلا، ويأتي البعض بمثابة عريضة دفاع عن الحق الفلسطيني، فتندّد بالتطبيع.

وعن أهم سمة للرواية في القرن الحادي والعشرين تقول إن السّمة الأبرز لها هي كونها مفتوحة على إمكانيات تجريبية هائلة، بانفتاحها على تاريخها وعلى تنوّع هذا التاريخ تارة وعلى تناقضات هذا التاريخ ومفارقاته وتعدّد علاقات الإنتاج فيه وأساليب حياة أهله تارة أخرى، ما دامت الرواية مفتوحة على مواهب كُتّابها وقدرتهم على ابتكار جمالية جديدة تفي بحاجاتهم للإحاطة بتجاربهم. هذا إضافة إلى أن الرواية الجديدة اتّسمت بسقوط الحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبيّة، فضلا عن التحولات التي حلّت بتغير المفاهيم، وحلول مفاهيم جديدة كالخطاب والنص وتجاوزهما إلى الأشكال الأدبية والسعي لدراسة السياق التاريخي للنصوص، وهو ما اعتبر التاريخ نصًا والنص تاريخًا.

وترى أن اتكاء المويلحي وحافظ إبراهيم على المقامة واللغة القديمة، وهما يكتبان واقع زمانهما، ليس فيه تناقض خاصة وأن الاستعمار صار أمرًا واقعًا في مختلف مناحي الحياة. فاستخدام اللغة القديمة من جانب حافظ إبراهيم لا يخالف راديكاليته على مستوى الموقف السياسي، فاللغة جاءت كنوع من المقاومة والتحصن بالقديم.

كما تعوّل على أهمية إقبال أحمد لا باعتباره أداة التقريب بين فانون وسعيد، أو حتى أن إقبال كان بمثابة المصدر الأساسي من مصادر خبرته بالعالم الثالث وسجل حركاته الكفاحية، وإنما يعود هذا الاهتمام إلى أن إقبال يُشكّل حلقة وصل تتيح استمرارية نموذج المثقف الناقد المرتبط بقضايا التحرير عمومًا، والتحرر الوطني خصوصًا.

وتقف عند علاقة إقبال أحمد بالمهاتما غاندي، وعلاقته بالتحرّر، ثم تقف عند إدوارد سعيد الذي يشترك مع الرفيقيْن في المنفى والاغتراب، فثلاثتهم عانوا الاغتراب ووطأة المُستعمِر، ومسيرتهم مليئة باجتياز الحدود والعبور ومن ثمّ جاءت تجربتهم نضاليّة.

وتشير إلى أن الثلاثة كانوا ينتقدون الإمبريالية من منطلق ثقافي لا من منطلق سياسيّ؛ فإدوارد سعيد اعترف بأنه حتى عام 1967 لم يكن مُسيّسًا. وتسعى المؤلفة عبر لمحات لإظهار طيف فانون وإقبال أحمد في كتابات إدوارد سعيد، وكيف أن طيف فانون لم يغب عن سعيد في كتاباته، كما هو ماثل في "صور المثقف" و"الثقافة والإمبريالية".

الكتابة المرآة

تتطرق عاشور في بعض هذه المقالات إلى كتاباتها، وكأنها أشبه بمرآة. فتسرد عن رواياتها "الطنطورية"، وأسباب كتابتها، والشخصيات المُلْهِمَة لها، في مذهب جديد يكشف للقارئ والناقد ومؤرخ الأدب ملابسات وأسباب الكتابة، وأيضًا منهجها في الكتابة، حيث تقول إنها "تصدت لنوع من التأريخ" مع أنها ليست مؤرخة، فهي تتصدّى له على طريقة الروائيين، حيث الوقائع تتحوّل إلى روح أو حياة أو إيقاع.

وهو درسٌ بليغٌ في كتابة الرواية التاريخيّة، فهي تريد أن تصبح الحكاية "ذاكرة ووعيا وحسًّا وانتباهًا وخبرة". بل تتقدّم خطوة مهمّة وهي تسرد لاتجاهين نقديْن ركزا على علاقة الأدب بالتاريخ، الاتجاه الأول أسهم فيه نُقّاد المادية الثقافية في إنجلترا والتاريخيون الجدّد في الولايات المتحدة، والاتجاه الثاني شارك في صياغة مفاهيمه نُقّاد ودارسون اشتغلوا بالنقد ما بعد الكولونيالي (Postcolonialism). فمثلا ريموند ويليامز لا يفصل بين الإنسان المنتج اقتصاديًا والإنسان المنتج للأفكار والجمال، في حين يرى إدوارد سعيد أن المصالح الاستعمارية وواقع الهيمنة السياسية شكلا الكتابة الأدبية والفكرية والعلمية في أوروبا القرن التاسع عشر.

تعود كثيرًا إلى أعمالها وتفسّر طرائق توظيفها للتاريخ، على نحو ما فعلت في روايتها "قطعة من أوروبا" التي تعود زمنيًا إلى فترة الخديوي إسماعيل، وتشرح كيف وظّفت الوثائق والمعلومات التاريخيّة، حيث لجأت إلى ذلك في ثلاثيتها غرناطة ومريمة والرحيل، معتمدة على الوثائق والحكايات الشعبية والتكثيف الشعري.

ويبرز في ثنايا محاضراتها وشهاداتها الوجه الآخر لرضوى عاشور، وإن كان هذا لا ينفصل عن وجهي الروائية والناقدة. هنا تبرز صورة المرأة المفكّرة التي تتأمّل الأشياء، وتقدّم مفاهيم جديدة للرواية التي تؤكد علاقتها الوثيقة بالتاريخ، فحسب رأيها "لا رواية خارج التاريخ"، ومن ثمّ تعتبر الروائي "حكّاء يدوِّن ملامح الواقع التاريخي، ويطرح أسئلته".

وبالمثل تتأمّل العلاقة بين الهامش والمتن، وصورة المرأة المفكّرة وصورتها عند الرجل، وهو ما دفعها لأن تكتب عن نساء كثيرات يَعمرن هذا الكون بما لا حصر له من نماذج وحكايات. كما تقدّم مفهومًا للكتابة يتواءم مع رؤيتها للواقع وفعل الكتابة الذي هو بمثابة "إطلاق للإرادة في مواجهة نفي الإرادة" أو "اشتباك مع الحياة يحاكمها أو يُغنيها، يفضحها أو يتواطأ معها، يصطدم بها أو يلاعبها أو يرفعها كالمرآة"، والجامعة من منظورها فكرة وضوء كاشف.

كما تسهم في تقديم تصوّر مُهم لنشأة الرواية العربية، حيث تربط النشأة بسياق الواقع الاستعماري، الواعي بحضوره والرغبة في التخلّص من هذا الوعي. وهو مفهوم يتوافق مع مفهوم سعيد عن نشأة الرواية الغربية، حيث يراها نِتاجًا للاستعمار، وليست تناغمًا مع الطبقة البرجوازية كما هي عند هيغل ولوكاتش.

وأعتقد أن هذه الرؤية تتماشى مع توجهات الكثير من روايات الريادة؛ فجميعها جاءت استجابة للوعي بمناهضة هذا الاستعمار، هذا إذا استبعدنا "زينب" هيكل من الريادة، على نحو ما فعلت دراسات كثيرة لاحقة، اعتبرت أن ثمة روايات أسبق من "زينب"، كما في "وَي إذَن لست بإفرنجي" لخليل أفندي الخوري، التي صدرت عام 1859.

كما تبرز صورة المفكّرة بما طرحته من أفكار مهمّة عن الجامعة التي ترى أنها بصورتها الحالية أشبه بتربية للمقهورين، خاصة في ظل ما تُعانيه الجامعة من تدهور للنظام التعليمي. والشيء الفادح في رؤيتها، وإن كان واقعيًا، أن تبدو الجامعة في نظرها -بما تطرحه بعض المشاهد من تكدس عربات الأمن، وتسليط الجنود لفوهات بنادقهم على الطلاب في الحرم الجامعي- "حيزا مغلقا محكوما ومحاصرا". فالحصار يتجاوز مدرعة الأمن وفوهة البندقية إلى تفاصيل لا حصر لها. في الحقيقة تضع الجامعة والبحث العلمي تحت مشرط طبيب ماهر، يُشخّص الداء وفي نفس الوقت يقُدم الترياق الشافي. وكأنها تقدم رؤية واعية أو خارطة طريق لمن يريد الخروج من المأزق الحالي! لكن أنّى لها هذا!

نقد كاشف رغم الهنات

على الرغم من أهمية الأطروحات التي قدمت في الكتاب، إلّا أن ثمّة ملاحظات استوقفتني أثناء القراءة، أولاها أن الكتاب كان يحتاج إلى تحرير وضبط، حيث ثمة موضوعات مكرّرة، تأتي في ثنايا شهادات أو محاضرات، فكان يجب إدراج محاضرة برشلونة مع الدراسة الأولى "تأمّلات في مفهوم الرواية"، وبالمثل شهادتها عن رواية الطنطورية كان من الممكن أن تُضم إلى "التاريخ واللغة والكتابة: شهادة كتابة".

> الرواية الجديدة اتّسمت بسقوط الحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبيّة، إضافة إلى التحولات التي حلّت بتغير المفاهيم

وأيضًا كان من الممكن إدراج "رسالة إلى أوروبا" ضمن المقالات السياسية، و"الأستاذ الشارد"، وهي شهادة عن محنة الجامعة، ضمن الشهادات. وبالمثل فصل "سرد الربيع العربي"، الذي هو شهادة حيّة على ما حدث في الثورة المصرية وشعاراتها وزخمها، يبدو لي بعيدًا كل البعد عن النقد الأدبي حتى ولو أشار عنوانه إلى ذلك.

كما أن الكتابات النقدية جاء فيها بعض التعميم، فعلى سبيل المثال العرض الذي تناولت فيه تجربة "أدب السجون في العالم العربي" على الرغم من إشارتها المسبقة إلى أنها ستقتصر على أربعة بلدان لتقديم نماذج دالة -والبلدان هي مصر والمغرب ولبنان وفلسطين- تحدثت عن تجربة عبدالرحمن منيف، وهو خارج حدود التصنيف الذي حددته. وثانيًا الدراسة أشبه باستعراض فوقي، دون التطرق إلى جماليات الكتابة وخصوصية التجارب بين بلد وآخر، خاصة وأن ظروف الاعتقال مختلفة، وإن كانت السياسة هي الجامع المشترك بينها. فمثلا تجربة المغرب أو ما عرف بـ"سنوات الجمر والرصاص"، ذات خصوصية لا مثيل لها في معتقلات العالم العربي.

كما يغلب على الدراسة الجانب التاريخي، فهي لا تقترب من الجوانب الفنيّة، حتى بمجرد إشارة، إلى درجة أنها عندما تذكر رواية الطاهر بن جلون "تلك العتمة الباهرة" التي كانت شهادة لأحد الناجين من المعتقل، تعلّق بأننا لسنا بصدد تقييم الرواية، وتستعرض ملابسات ما أثارته الرواية من جدل. الشيء المهم الذي تشير إليه هو أن ترجمة السجن بمثابة تأريخ لعلاقة السلطة بمعارضيها.

يتكرّر هذا العرض التاريخي، في فصل "الحضور المزدوج: فلسطين والصراع العربي – الإسرائيلي في الأدب العربي"، فنراها ترصد للشعراء الذين تناولوا القضية في أشعارهم كقصيدة فلسطين الدامية للجواهري، ثمّ ما كتبه الأخوان رحباني في قصيدة "راجعون" وترى أن الشعر هو الأسبق في التعبير عن المأساة الفلسطينية، ثم تلته القصة القصيرة، أما الكتابة المسرحية فترى أنها شحيحة إجمالاً ويغلب عليها الخطاب السياسي المُباشر والخلط بين الصهيونية واليهودية، وإن كانت تعترف في نهاية ما طرحته بأنها ورقة يشوبها قدر من التفكّك، ومن ثمّ تأمل من الباحثين ألا يكتفوا بتتبع فلسطين والصراع العربي – الإسرائيلي وحضورهما في الأدب العربي الحديث، وإنما دورهم إملاء شكل الكتابة سواء تناولت الموضوع أو لم تتناوله.

ورغم الملاحظات السابقة يكشف تنوع مقالات الكتاب ومسارات القراءة عن منهجها النقدي بصفة عامة، والذي يعمد إلى التشابهات والاستدعاءات، ومن ثم تميل معظم كتاباتها إلى النقد الثقافي، فهي لا تقف عند حدود المنهج التاريخي، وهي تبحث عن الريادة في الرواية العربية، بل ثمة قراءة للسياق الثقافي والتاريخي لهذه الحقبة وربطها بالمنتج الثقافي.

كما أنها في تناولها لعلاقة إدوارد سعيد بفانون لا تتوقف عند الرابط المباشر، وهو إقبال أحمد، بل تبحث عن التشابهات والتقاطعات، إضافة إلى أنها تستلهم جذور هذا التأثير في كتابات سعيد. وفي قراءتها لسرد الربيع العربي لا تتوقف عند واقع الثورة سواء في صيغة مدونات أو رسومات أو حتى لافتات.

فالقيمة الحقيقية للكتاب أنه كشف عن تعدّد وجوه رضوى عاشور، وقدّم نماذج من النقد من أكاديمية بحكم موقعها كأستاذة سابقة للأدب الإنجليزي، إلا أنها خالية من اللوغريتمات التي يحرص عليها الأكاديميون، بل هي كتابات صالحة للقراءة من مستويات مختلفة، بدءًا بالهاوي والقارئ العادي وصولا إلى المتخصص الحصيف.

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

المسرحيون العرب يواجهون الواقع المتقلّب بالسير الشعبية

أول دراسة موسعة لتحولات السير الشعبية مسرحيًا على المستوى العربي

يشكل حضور السير الشعبية رافدا ومصدرا مهما للاستلهام في المسرح المصري خاصة والعربي عامة، حيث وظفها ولا يزال يوظفها حتى الآن كتاب المسرح لمعالجة القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية والوطنية دفعا لتصحيح المفاهيم وإبراز الهوية الوطنية والقومية والتصدي للقمع والظلم والتحريض على الثورة بحثا عن الحرية والعدالة، وذلك من خلال تطويع هذه السير وإعادة خلقها وبنائها ومعالجتها وفقا للواقع الحاضر، ومن ثم الإسقاط على الواقع عن طريق أحداث مشابهة داخل حكاياتها.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يناقش الباحث والمسرحي عبدالكريم الحجراوي في أطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه في النقد المسرحي أخيرا من كلية الآداب جامعة القاهرة، والموسومة بـ"تحولات الخطاب الدرامي من السير الشعبية إلى المسرح العربي 1967 – 2011 دراسة في نماذج مختارة"، مجموعة من المسرحيات العربية التي استلهمت من السير الشعبية في الفترة ما بين عامي 1967 و2011.

وتمثلت هذه المسرحيات التي تناولها الحجراوي في عشرة نصوص مختارة هي "الزير سالم" لألفريد فرج 1967، "أبوزيد في بلدنا" لأبوالعلا السلاموني 1969، "حمزة العرب" لمحمد إبراهيم أبوسنة 1971، "علي الزيبق" و"عنترة" ليسري الجندي عامي 1971 و1976، "سهرة مع البطل الهمام أبوليلى المهلهل" للأردني غنام غنام 1995، "الظاهر بيبرس" لعبدالعزيز حمودة 1986، "أسفار سيف بن ذي يزن" للكاتب السوري خالد محيي الدين البرادعي 1997، "سُعدى ومرعي" لشوقي عبدالحكيم 1999 و"الليلة الحالكة" للكاتب العماني أحمد بن سعيد الأزكي، 2010.

لكل بلد سيرة شعبية

ترجع أهمية أطروحة الحجراوي إلى كونها تحمل على عاتقها التأصيل لدور السير الشعبية في المسرح في البلدان العربية ككل ودراستها بشكل موسع، وكيف أثْرَتْ تلك السير الحركة المسرحية العربية، وشكلت مصدرًا مهمًا من مصادر الإبداع المسرحي العربي، بل كانت حاضرة منذ بدايته مع نقولا النقاش في مسرحية ربيعة بن زيد المكدم 1849.

وتكونت الأطروحة من أربعة أبواب وثمانية فصول درس فيها الحجراوي قضايا تتعلق بالتأثر والتأثير والقصد والحجاج، حيث استعان بالمنهج التداولي وعمل على خلق أدوات تتوافق مع هذا المنهج لتحليل النصوص المختارة، وعمل على دراسة المعنى أثناء عملية التواصل، وكيف يستعمل المتكلمون اللغة وذلك كما تقتضي التداولية في نظرياتها المتعددة "أفعال الكلام، الأفعال التداولية، التأثير، القصد، السياق، الاستلزام التخاطبي، الحجاج، أفعال الهوية، الهوية الكلامية"، لذلك درس النصوص المسرحية في بنيتها الداخلية، وكذلك في علاقاتها مع السياقات الخارجية وكيف يتولد المعنى لدى المتلقي من خلال الربط بين بنية النصوص والسياقات المختلفة سواء الداخلية أو الخارجية.

وكشف الحجراوي في أطروحته عن تنوع طرائق تأثر الكتاب بالسير الشعبية في تحولها إلى جنس المسرح وقد قسمها إلى ثلاث فئات. الأولى: فئة النقل، ويكون فيها التأثير بصورة مباشرة. ويكتفي فيها كُتّاب المسرح بمسرحة السير الشعبية، وتحويلها من السردية إلى اللغة الحوارية المعروفة عن المسرح.

أما الفئة الثانية فهي فئة التحوير أو التعديل، ويكون فيها التأثر بينيًا لا كما هو الحال في فئة النقل ولا في فئة التبديل. ويقصد بها المسرحيات التي تولدت عن السير الشعبية غير أن المؤلفين وإن التزموا بشخوص السير الشعبية إلا أنهم يغيرون في الأحداث من أجل الإسقاط على الواقع.

والفئة الثالثة فئة التبديل والتأثر فيها يكون بصورة غير مباشرة، يتكئ المؤلفون فيها على السير الشعبية دون الالتزام بأحداثها بل أحيانًا يدمجون البطل الشعبي للسيرة في الأحداث المعاصرة الجارية بشخوص جديدة غير تلك الواردة في السيرة.

ورصد الحجراوي 237 نصًا متحولا عن السير الشعبية، من بينها 135 نصًا جاءت في الفترة ما بين 1967 و2011 في أكثر من 16 دولة عربية من أصل 22 دولة، اختلفت نسبة كل دولة منها في تأثرها بالسير الشعبية، فجاءت مصر في المرتبة الأولى وتليها بلاد الشام على رأسها لبنان وسوريا ثم الأردن وفلسطين، وبعدها دول شمال أفريقيا في مقدمتها تونس.

> كتاب المسرح يستدعون أبطال السير الشعبية كي يستنجدوا بهم ضد الواقع الاجتماعي المعيش للتحريض على الثورة

وقال الباحث "لعب العامل الجغرافي دورًا أساسيًا في اهتمام الدول العربية بسيرة دون أخرى، فكتاب بلاد الشام (لبنان، سوريا، فلسطين والأردن) كانوا أكثر اهتمامًا بسيرة 'الزير سالم' من أي سيرة أخرى، خاصة الكتاب اللبنانيين في الفترة ما قبل الدراسة ويرجع سبب اهتمامهم بهذه السيرة إلى أن أحداثها تدور في بلاد الشام".

وأضاف "برز اهتمام كتاب تونس بالسيرة الهلالية خاصة شخصية 'الجازية' لأن الكثير من أحداث السيرة الأصلية تدور في تونس، وانصب تركيز كُتّاب اليمن على سيرة سيف بن ذي يزن بسبب الأصول التاريخية اليمنية لبطل السيرة. ورصدت الأطروحة أن سيرة عنترة بن شداد كانت أكثر السير العربية استلهامًا تلتها السيرة الهلالية ثم الزير سالم وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس وبصورة أقل علي الزيبق وحمزة البهلوان وفيروز شاه والأميرة ذات الهمة".

أبطال ضد الواقع

كشف الحجراوي عن تعدد أنواع الخطابات الإنجازية الهادفة إلى التأثير في المتلقي في النصوص المسرحية المتحولة عن السير الشعبية بين الأنماط الثلاثة "التحريض والتثبيط/ التخذيل والعبثية".

وذكر أنه للمسرح الإذاعي في العام نفسه قدم فاروق خورشيد "حبظلم بظاظا" من سيرة علي الزيبق، وفي المغرب ومن واقع الهزيمة العربية المريرة استلهم الكاتب المسرحي "عبدالكريم برشيد" في مسرحيته "عنترة في المرايا المكسرة" 1971، وفي سوريا جاء صدى السيرة والهزيمة في مغامرة رأس المملوك جابر 1971م، لسعدالله ونوس حيث سيرة الظاهر بيبرس.

وأوضح الحجراوي أن أطروحته رصدت استلهام كتاب المسرح من السير الشعبية في الستينات وبالتحديد من عام 1967 إلى 1969 خمس مرات، وفي حقبة السبعينات سبع عشرة مرة، وفي الثمانينات اثنتين وثلاثين مرة، وفي عقد التسعينات ثماني وثلاثين مرة، وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ثماني وثلاثين مرة. وفي 2011 خمس مرات.

ومن 2012 إلى 2020 ثماني وأربعين مرة، أي أنه من عام 2010 إلى 2020 تجاوزت النصوص المتحولة عن السير الخمسين نصًا مسرحيًا وهي أعلى نسبة لعقد من العقود بثلاث وخمسين مسرحية، ففي عام الثورات العربية 2011 تحولت السير الشعبية خمس مرات، وفي عام 2014 وحده ثماني مرات.

وأضاف "كشف التحليل أن مؤلفي النصوص المسرحية المستلهمة من السير الشعبية اعتمدوا في إيصال أهدافهم إلى المتلقي على اتجاهين هما التحريض والتثبيط، وأن من اعتمدوا على الخطاب التثبيطي على لسان شخصيات المسرحية كان هدفهم المضمر هو التحريض على هذا الخطاب الذي رصدوه في نصوصهم ولكشف مساوئه أمام الجمهور والسلبيات التي يمكن أن يوصل إليها".

وتابع "غابت النصوص ذات الخطاب العبثي عن المسرحيات المستلهمة من السير الشعبية، إلا أنه كانت توجد شخصيات ذات طابع عبثي جاءت في سياق تنفيري الغرض منه التحريض على رفض مثل هذه السلوكيات، والدعوة إلى المقاومة من أجل تغيير هذا المصير والإيمان بأهمية الفعل. كما أن الفلسفة العبثية ليس لها حيز كبير في الثقافة العربية، مثلما هو الحال في الغرب الذي مر بالعديد من الكوارث التي دفعته إلى الإيمان بعبثية الحياة".

ولفت الحجراوي إلى اعتماد كتاب المسرح على استدعاء أبطال السير الشعبية كي يستنجدوا بهم ضد الواقع الاجتماعي الفعلي المثبط المعيش متكئين عليهم للتحريض والثورة ضد هذا الواقع المهزوم.

وبحث الفصل الثاني من الباب الأول السياق الاجتماعي والتاريخي الذي أنتجت فيه النصوص المختارة، وكشف أن أغلبها جاء في سياقات اجتماعية مثبطة حيث الصراعات العربية – العربية والعربية – الإسرائيلية، وغياب الحرية والعدالة الاجتماعية والتداول السلمي للسلطة، ووسط هذا الواقع الاجتماعي المثبط سعى المؤلفون الذين استمدوا مادتهم من السير الشعبية للتحريض والثورة ضده.

وكشف تحليل النصوص أنه عقب الأحداث الجلل التي مر بها الوطن العربي كثر استلهام أبطال السير الشعبية العربية برؤى جديدة تتناسب مع الواقع الجديد، فعقب نكسة 1967 استلهمت السير الشعبية كثيرًا في المسرح المصري والعربي، فبدأ هذا النهج مع ألفريد فرج الذي استلهم سيرة الزير سالم عقب النكسة مباشرة، ثم علي أحمد باكثير في العام التالي في مسرحيته "حرب البسوس" 1968، ومحمد أبوالعلا السلاموني في مسرحيته "أبوزيد في بلدنا" 1969.

اختيار المؤلفين المسرحيين لأبطال السيرة لم يكن عشوائيًا

السيرة الشعبية قناع للتعبير عن الأفكار السياسية والاجتماعية

مما يكشف أن ثورات الربيع العربي لعبت دورًا بارزًا في توجيه كتاب المسرح نحو السير الشعبية كما هو الحال في الفترة التي تلت نكسة 1967.

القومية والمحلية

حرص الباب الثالث في فصله الأول على كشف الخطاب المضمر حيث أشار الحجراوي إلى أن "تعامل المؤلفين مع السيرة الشعبية جاء كقناع يعبرون به عن أفكارهم السياسية والاجتماعية خلال الفترة بين 1967 و2011، فهذه الحقبة كانت مملوءة بالأحداث السياسية والفكرية مثل قضايا التحرر الوطني من الاحتلال الأجنبي، والاشتراكية، والدعوة إلى الوحدة العربية، ومن ثم نكسة 1967 والصراع العربي – الإسرائيلي، ومن بعده حرب 1973 واتفاقية السلام المصرية مع العدو الإسرائيلي، والانتفاضات العربية الرافضة لغياب العدالة الاجتماعية مثل انتفاضة الخبز في مصر في السبعينات وصولًا إلى فترة التسعينات وغزو صدام للكويت، والعشرية السوداء في الجزائر وازدياد موجة الإرهاب، انتهاء بثورات الربيع العربي التي بدأت في تونس ثم مصر كرفض لغياب العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية. كل تلك القضايا ناقشتها المسرحيات المختارة بين أيدينا متخذة كما ذكرنا من السير الشعبية قناعًا يعبر به الكتّاب عن رفضهم لكل هذه القيود القامعة والكابتة للحريات متحايلين بها على سلطة الرقيب عن طريق الإسقاطات السياسية والاجتماعية والفكرية التي ضمنوها في نصوصهم المسرحية".

وكشف الحجراوي عن أكثر الوسائل الحجاجية التي اعتمد عليها في الخطابات المسرحية من أجل الإقناع والتأثير في المخاطب مثل الكناية والمثل والمثال والمماثلة، وكشف تحليل المسرحيات المتحولة عن السير الشعبية أن وظيفة الحجاج في المسرح لا تتوقف عند ما يفعله الشخوص وإنما تمتد بشكل أساسي للتأثير في الجمهور المتلقي من أجل أن تقنعه بفكرة الرؤية المرغوبة، خاصة مع كتاب المسرح الذين اتخذوا منهج "بريخت" الملحمي نموذجًا في كتاباتهم، كما رصدت صور الصراع بين الأيديولوجيا التي تحملها عادة الشخصيات الشريرة في مقابل اليوتوبيا التي يحملها المناضلون من أجل تغيير الواقع وهي الرؤية المرغوبة التي يريد المؤلفون أن يقنعوا بها المتلقي.

وخلصت دراسة الحجراوي إلى أنه في الستينات ارتبط المسرح بالهوية أو القومية العربية من خلال الدعوات التي سعت لخلق اتجاه مسرحي عربي يرتكز على الموروث الشعبي في البلدان العربية التي بدأت مع يوسف إدريس، توفيق الحكيم، محمد مندور، عبدالقادر علولة، سعدالله ونوس وفرحان بلبل وغيرهم.

وبين أن اختيار المؤلفين المسرحيين لأبطال السيرة التي يختارونها لنصوصهم لم يكن عشوائيًا، فحين أراد محمد إبراهيم أبوسنة أن يدافع عن الهوية العربية اختار الشخصية التي أبدعها الوجدان الشعبي خصيصًا من أجل القيام بهذه المهمة وهو حمزة العرب، وحين أراد ألفريد فرج أن يعبر عن حالة تشظي الهوية العربية اختار سيرة الزير سالم التي يتقاتل فيها العرب مع بعضهم البعض وكذلك يسري الجندي حين سعى للتعبير عن الهوية المصرية، اختار بطل السيرة الوحيدة التي بطلها مصري والمعروف بعلي الزيبق المصري من أجل التعبير عن الهوية المصرية.

كما ركزت المسرحيات المتحولة عن السير الشعبية بكثرة على قضية الانعزال بين الهوية الحاكمة في الدول العربية والهوية الاجتماعية الشعبية، كما عالجت مشكلات أخرى مرتبطة بصور مختلفة من الهوية مثل الهوية الجندرية والهوية العرقية والدينية، وكذلك الهوية اللغوية.

> ثورات الربيع العربي ساهمت في توجيه المسرحيين نحو السير الشعبية كما هو الحال في فترة ما بعد نكسة 1967

وتابع أن المسرحيات المستلهمة من السير الشعبية التي اختارت اللغة العربية الفصحى لحوارات شخوصها كانت ذات بعد قومي عربي، بينما المسرحيات التي استخدمت العامية كان اهتمامها بالشأن الداخلي لبلدان هؤلاء الكتاب ومن بعدها يأتي البعد العربي العام. كما أن استخدام اللغة الدارجة كان لأهداف تثقيفية وتوعوية، كما أن اللهجات المحلية التي حضرت في بعض النصوص لم تأت بصورة اعتباطية وإنما لأسباب متعلقة بهوية ومجتمع كلامي معين، ودلالة على الوطن.

كسر قواعد المألوف بأسلوب مستفز (لوحة للفنان ماريو غريمالدي)

التناقضات ترتّبها الفكرة الفنية (لوحة للفنان كارل ستانلي بنجامين)

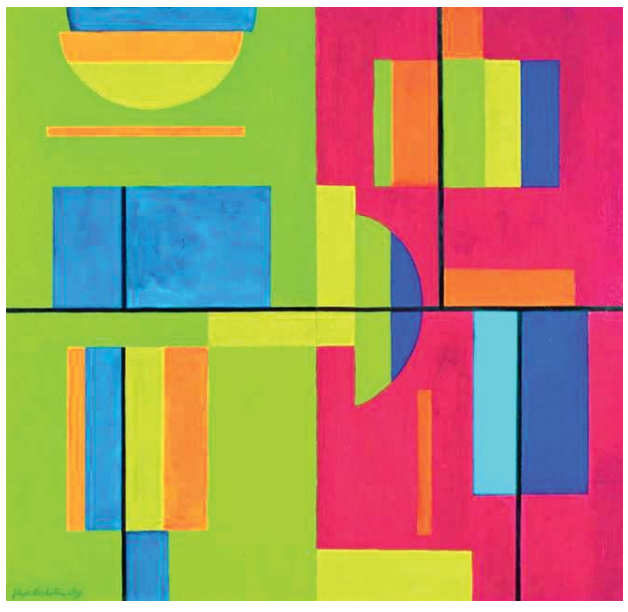
استخراج اللون من جموده (لوحة للفنان إيليا بلوتوفسكي)

الحواف الحادة.. هندسة متمردة وفلسفة تعيد بناء العالم

تيار فني يكسر رتابة الضوء واللون ويستفز الفضاء

اتجاهات فنون ما بعد الحداثة متعددة في مدارسها ورؤاها وغاياتها، ولكن أغلبها يدخل في علاقة جدلية مع المتلقي، منها من اختار الصدمة عنوانا لهذه العلاقة ومنها من اختار التآلف والذهاب بعيدا مع متطلبات الجمهور وصولا إلى اليومي، ومنها من اختار إشباعا من أنواع أخرى، ومنها من يحاول التأسيس لمعايير مختلفة للجمالية أو يبني نفسه من الزوال والآنية أو يؤسس مادته في الفراغ. فكثيرة هي التمشيات التي اختارها الفنانون، وهو ما نجده مثلا في الأعمال التي تتماس مع الهندسة، والتي لم تعد تحاول أن تحقق الليونة والسلاسة والرتابة المعتادة، بل اتجه فنانوها إلى الصدام مع الفضاء والمساحة واللون، في تيار بات يعرف باسم الحواف الحادة.

بشرى بن فاطمة
كاتبة وباحثة تونسية اختصاص فنون بصرية

منذ ظهوره كأسلوب فني تشكيلي حداثي تحمّل التجريد في أشكاله التعبيرية العديد من الأساليب التي اندمجت وتماهت معه من خلال التوظيف الكامل للعناصر والأشكال ومنها التمازج الأسلوبي بين الانطباعية والمفاهيمية والتقليلية والتعبيرية والهندسة والتركيب الشكلي، وهو ما جعل صياغتها تحمل نوعا من التشدد المتوافق مع حدّتها وتمرّدها ومواقفها الجمالية التي قد تبدو منظمة أو فوضوية أو لا مثالية في جمالها المختلف، المقترح والبعيد عن المألوف التصويري المتعوّد.

> التصوير التجريدي للهندسة يوظف فلسفة داخلية تبعده عن التشويش من حيث أنه لا يتواصل مع الصورة كمجرد مشهد

وهذا التحوّل التعبيري في الأشكال الفنية اعتبر سمة وميزة لحركة التجريب المعاصرة التي خاضت في مراحلها هذا التمرّد من خلال العديد من التشكيليين

فماهي خصوصيات هذا الفن وما هي دوافعه نحو التطوّر والانتشار وكيف أثّرت الفلسفة التجريبية والجمالية في تغيّراته المفهومية ومدى ثرائه البصري؟

فلسفة داخلية

إن هذا التصنيف الذي اعتُمد كمصطلح للتعبير عن التيار ككل كان قد ابتكره في تلك الفترة الناقد والفنان الأميركي جولس لانجسنر إذ كان إشارة إلى التركيب والتغيير التشكيلي القائم على الهندسة واللون والضوء والخطوط وحساب الفضاء والمساحة وتداخل العناصر بحدّة مسؤولة، الموقف الجمالي الذي قام بوصل الترتيب الفني بحدّة متشدّدة في حواف صلبة تفصل الوعي واللاوعي وترتّب التناقضات في الفكرة الفنية، وهو ما بدا مع أعمال الرواد جاكسون بلوك وجون ماكلولين وهيلين لونديبرغ، ما صاغ جرأة اللون وحرّيته في مساحته وتأثيره في فضائه وانعكاسه الحاد وكثافاته الطاغية على الأشكال بتفاصيلها اللامألوفة وحوافها الحادة التي خلقت هذا الأسلوب المتشدّد في العمل الفني المتفرّد عن الطبيعة الاندماجية الأولى التي بدأت مع التجريد التعبيري.

يوظف التصوير التجريدي للهندسة فلسفة داخلية تبعده عن التشويش من حيث أنه لا يتواصل مع الصورة كمجرد مشهد لأنه بدوره لا يجذب الجمال الموضوعي بل يخوض في التجريب الماورائي للصورة ويستفز منها الرمزيات والعناصر المتصادمة في علاماتها والمتناقضة في حسّياتها حيث يربط بينها وبين دورها التعبيري الداخلي في عمق العاطفة الذهنية وفي تفاعل المفاهيم.

ومن هنا تكون القراءة في شرحها الأول قابلة لتحمّل التأويلات الفهمية التي تقع على المتلقي وتوقعه في التفسير بانطلاقة متحرّرة من قواعدها الثابتة في التفسير الجمالي الذي كسر قواعد المألوف بأسلوب مستفز أثبتت حركيّته الحيّة استمرارية تفاعلاته وقدرة استخراج اللون من جموده وبعث حيويته خاصة في توظيف اللون من اللون داخل المساحة ذاتها وكأنه يعطي لدرجة اللون حريّة التفاعل بحركة تستنطق جمودها في المساحة.

إن الرؤية الجمالية التي تفرض أسلوبها على التوافقات المفاهيمية في التعبير لا تقف عند الفلسفة فحسب بل توظّف الترتيب والقواعد التي تثبت مدى تكامل الجانب الهندسي وعبثيته المتمردة وفلسفاته المعبّرة وحكمته المنظمة وهي تخلق له قاعدة فنية تثبت انتماءه الحر لما بعد الحداثة في التعبير وتصله مع مدارس الفن المعاصر دون أن يكون دخيلا أو متمرّدا أو حتى متشدّدا كما يوصف.

هو كأسلوب يسعى لخلق النظام اللوني الخاص به وتحفيز الخط الجمالي في الهندسة الرياضية المتفوقة على الفضاء، بتجريد الشكل والحضور والتناسق المتكامل الذي يميّزها بالأصالة التعبيرية في جوانبها المتفاعلة بصريا لتنسيق اللون وإكسابه جرأة التحوّل وخلق ذائقة متحرّرة للفكرة الفنية، خصوصا وأن تلك الفترة شهدت اعتمادا بصريا في عوالم التجريد على اللون مثل أسلوب التجريدية التعبيرية ما أعطى حضور اللون دورا مسؤولا في تحديد الفكرة وتوظيفها، خاصة وأن التجريد اتهم بكسر نمطيّة الفنون التعبيرية والواقعية وبأنه جاء لتدميرها وتغيير التشكّل الجمالي في الفنون، وهو ما حفّز التيار إلى أن يكتسب عبقريّته في الحساب والبحث والهندسة والاشتغال على اللون والتركيب والمساحة والبصريات والجزئيات وتوليفاتها وتحفيز المفاهيم وبالخصوص مفاهيم الفراغ.

يدخل هذا الأسلوب والتيار التشكيلي الخط واللون والضوء مع هندستها العميقة والداخلية في محاورة حادة وجدلية جريئة في البحث عن منافذها، فصراعها حتمي للتحرر من سطوة الفراغ ومن صمت الصخب الدائر في مفاهيمها فبالأسلوب تتدفق الأضواء ملونة لتسطع وتتفجر خارج المسطح أو لتغوص أعمق في تداخلات الخطوط محمّلة بالظلال والنور الذي يتدرّج مع اللون ومساحته وهي تحدّدها الأشكال الدقيقة والمصفوفة والمتغيّرة عبر مراحلها التكوينية

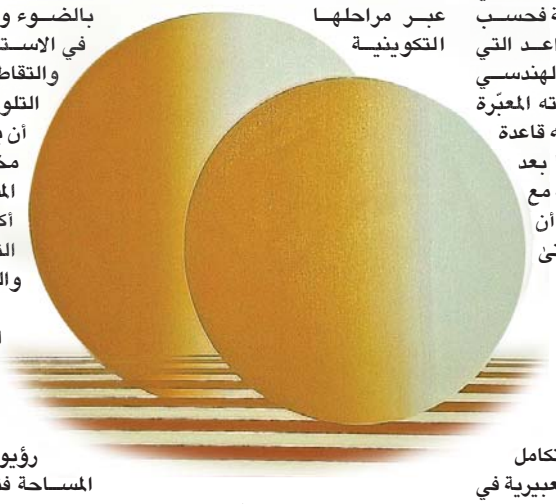

منذ البداية التي تحرّكها إلى آخر الوصف اللوني الذي يهبها الفكرة وفلسفة الحضور.

التطور مع الهندسة

تحمّلت مرحلة الحواف الصلبة الكثير من التصوّرات الجمالية المتعلّقة بالمفهوم العام للصورة والرؤى الماورائية في تطوّراتها الشكلية على مستوى اللون، ولذلك فهي تخضع للتجريب والتداخل والانحدار المتكامل في تمرّده مع الفضاء الذي يستدرج الفراغ نحو فلسفته، حيث أن اللون يتحمّل التقسيمات والتشكّلات في هندستها وهو ما يجعل التقنية دقيقة ما يساعد على التخلص من وهم الصورة نحو العمق الأكثر تجادلا مع البقاء في الترتيب.

وهو ما سمي بالتعبير المتشدّد الصلب الحاد ما عبر عنه بمرحلة الحواف الحادة أو الصلبة (Hard Edge)، هذا التصور الأسلوبي الذي ظهر في أواخر الخمسينات واندمج وتطوّر حتى لامس التصورات المعاصرة في الفنون التشكيلية والبصرية.

العمق التجريبي

تبقى مرحلة الخمسينات المرحلة التي يعتبرها النقاد أكثر مراحل الثراء اللوني في التعبير التجريبي للتجريد والتحول نحو البصريات أو الفنون البصرية التي تحمّلت الفكرة في جوانب التجريد وتعمّدت التفاعل الفلسفي بينها وبين الألوان في حقولها الأحادية وتمازجاتها الهندسية عبر الحواف التي امتدت وخاطرت وضاقت في مساحاتها المتمرّدة عبر فراغ المساحة التي اصطنعت لذاتها حضورا تجادل مع خصوصياته التعبيرية ومفاهيمها.

ولعل البحث في تشكّلات المرحلة وتصورات الحواف الحادة تحمل تصوراتها في العمق التجريبي الذي صنع للتجريد الهندسي وأحادية الحقل اللوني والتفاعل مع الحواف تفاصيلها من عدّة تجارب عالمية أميركية أوروبية وعربية لتُحمّلها نقاط التلاقي وتستدرج تفاعلات الطرح الإشكالي لمثل هذا الانتماء ومداه التعبيري حسب رؤية كل تجربة.

وبالتالي فيمكن القول إن مرحلة الحواف الصلبة اكتسبت نضجها من التجريب على مستوى البحث الشكلي في تقسيمات الخط العربي والهندسة الزخرفية التي قادتها إلى النضج الفهمي من حيث الاهتمام باللون والمساحة على مستوى الفضاء والتلاعب بدرجات العمق والتسطيح فيها من حيث التدريج والتلاعب بالضوء والأبعاد والظلال والخطوط في الاستقامة والانحناء أو التداخل والتقاطع ما يحدث صخبا مرتّب التلوين شفافا ومتدفّقا يحاول أن يغمر العين على مساحات مختلفة الفضاء وهنا يتلقى المشاهد العمل بعمق الرؤية أكثر من العاطفة التشكيلية التي تتماهى وتتأثر بالشكل والصورة المباشرة.

كما أن الأسلوب المعتمد على الحواف الصلبة له قدرة مميّزة تقنيا على العمل على التناقضات اللونية من حيث إحداث صدمة رؤيوية في المستوى المشتغل على المساحة فتكون اللغة البصرية بسيطة ولكنها دقيقة وصاخبة ومعبّرة في نفس الوقت.

أما على مستوى اللون الأحادي فالتقنية تكتسب نوعا من البساطة العميقة التي تتماثل في اللون نفسه وفي لغته البصرية المتدرّجة والمتناقضة في تجلياتها الصادحة وانفعالاتها الحادة.

فالعمل المبتكر الذي ركّزت مرحلته الحواف، منذ تمرّدها حتى فنون ما بعد الحداثة، تفاعل مع التجريد الهندسي والفن التشغيلي واللوحة الميدانية الملوّنة وحتى تجريب خصوصيات الفنون الإسلامية وهندساتها الخاصة، التي طوّعت الفضاء ومتّنت علاقة الشكل بالمساحة على مستوى التوظيف والمفاهيمية من حيث التنفيذ والعمق والأبعاد والتسرّب والانسياب والتعبير الداخلي وثنائية التوافق بين الشكل والحقل اللوني في المساحة.

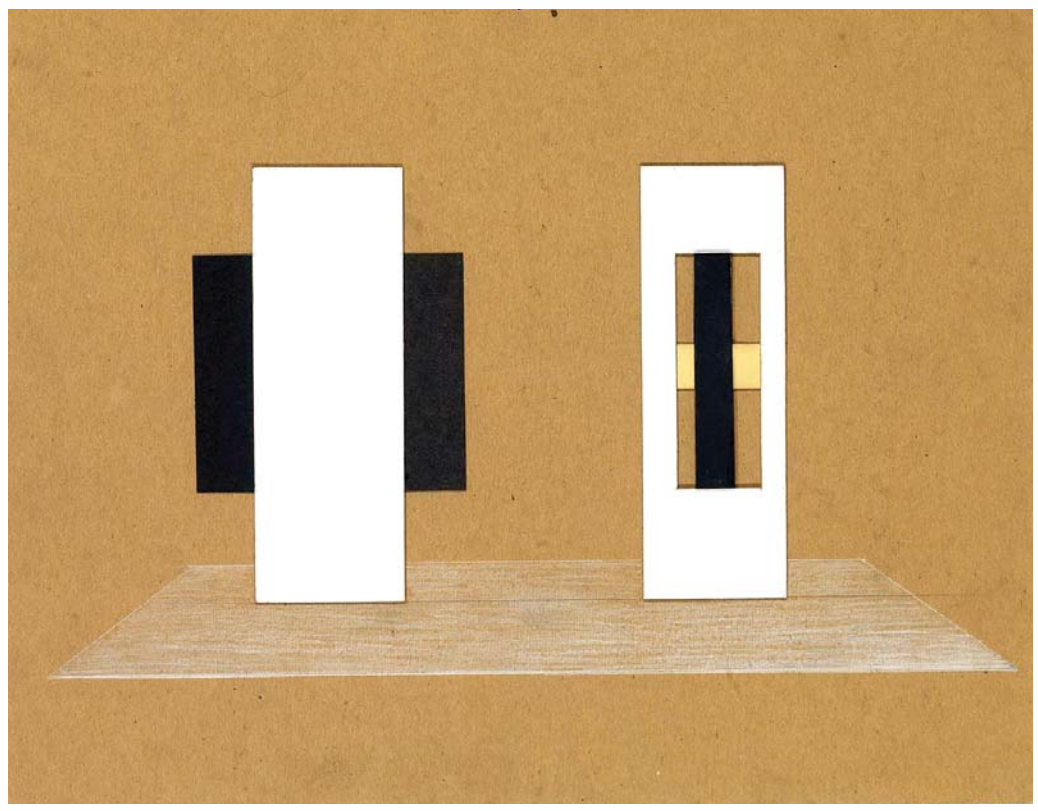
حواف صلبة تفصل الوعي واللاوعي (لوحة للفنان بيرغوين ديلر)

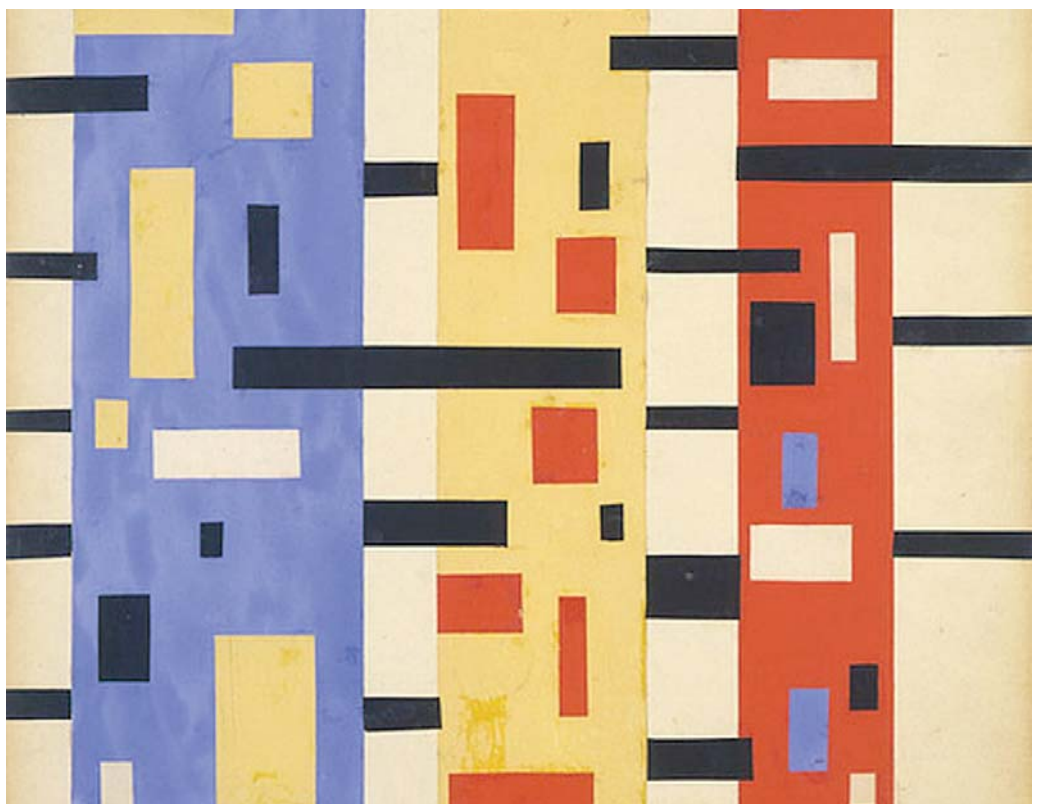
استثنائية المفاهيم تجريد اللون والهندسة (لوحة للفنان بيرغوين ديلر)

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

الكراهية والانتقام العنصري يجتاحان أوروبا والمسلمون أول ضحايا الجيل المتوتر

«أنا كارل» فيلم يفتح جراح العنصرية الغائرة

العنصرية والصعود المتنامي للحركات المتطرفة يمثلان قضية محورية اليوم في أوروبا، قضية قد تنفجر في أي لحظة بشكل عنيف وتخلف مشهدا دمويا مؤلما إذا لم تعالج بالطرق المناسبة، ولعل السينما من الفنون القادرة على معالجة واقع معقد مثل هذا، وهذا ما نجده في فيلم "أنا كارل" الذي يفضح حقيقة العنصريين.

طاهر علوان
كاتب عراقي

مهاجرون يشكّلون ظاهرة عالمية في مقابل كارهين لهم، بالتزامن مع وجود تيار يميني متطرف ينتشر كالفطر في العديد من البلدان، ويعتاش بشكل طفيلي على هامش المجتمعات الغربية مقتاتا على قضايا الهجرة والمهاجرين.

هذا المشهد يتجلى على الشاشة من خلال فيلم "أنا كارل" للمخرج الألماني كريستيان شواتشاو الذي يقدم رسالة بليغة لأزمة وجودية قاسية ما تزال تتفاقم من حولنا وخاصة في أغلب دول القارة الأوروبية حتى صار التغاضي عنها ضربا من الوهم والتجاهل غير المجدي، ولهذا يفتح هذا المخرج المثابر ذلك الجرح الغائر ويغوص عميقا في الآلام التي نتجت عنه على صعيد المجتمعات الغربية وليدخل إلى عينة محددة في المجتمع الألماني ثم لينطلق في مقاربة الظاهرة إلى عموم القارة الأوروبية.

الأحقاد العنصرية

في المشاهد الأولى لا تتوقع أن يجتذبك الفيلم فكأنك مع فيلم وثائقي وحركات كاميرا محمولة على الكتف ومهتزة ووجهين عاديين لا يلفتان النظر هما أليكس (الممثل ميلا بيشيل) وزوجته إينيس (الممثلة ميلاني فوتش) وكلاهما يقومان بتهريب يوسف (الممثل عزيز دياب) من أحد البلدان الأوروبية باتجاه اليونان، وبكل ما يحمله ذلك من مخاطرة إلا أنهما ينجحان في المهمة، ويشعران بفرح غامر بعد إنقاذ يوسف الذي يخر ساجدا بعد وصوله إلى ألمانيا.

بعد هذا التمهيد سوف ننتقل مباشرة إلى صورة موازية خلاصتها ما يمور في داخل المجتمع الألماني نفسه بالضد من المهاجرين، وبذلك يصنع المخرج خطين سرديين متوازيين ويجعل من ذلك التفاعل مجرد إشعال لفتيل لن ينطفئ بسهولة، وكأنه أراد بذلك التمهيد لكي يزج بنا في مهب عاصفة هوجاء بشعة قائمة على الأحقاد العنصرية تتفشى في أوساط جيل من الموتورين الذين يرفعون شعار استعادة أوروبا من الأجانب.

سوف تبرز في وسط هذه الدراما شخصيتان رئيسيتان وهما كارل (الممثل يانيس نيوهنير) وماكسي (الممثلة لونا ويدلير) فالأول هو الذي يقود في الخفاء ذلك المد العنصري في أوساط تيار شبابي جامعي فيما يستغل حزن ماكسي بفقد شقيقيها وأمها في تفجير إرهابي ضرب العمارة التي تسكنها عائلتها ولم ينج إلا والدها، يستثمر كارل حنق ماكسي ويبدأ بالتودد إليها واستمالتها سواء بالغزل والحب أو بضخ اعتباراته العنصرية وإيهامها بأن قتلة عائلتها من الإرهابيين هم المهاجرون وخاصة المسلمين.

هنا يقع التحول في هذا البناء الدرامي ويتعمق المخرج كثيرا في تلك الظاهرة المتنامية من خلال مؤتمر عام يشمل طلبة من مختلف البلدان الأوروبية، وتكون ماكسي هي ضيفة الشرف، وهنا يقع التحول في مواقفها في كراهية الأجانب لتشاطر آراء تلك المجموعة فيما كانت على الطرف الآخر سياسية فرنسية من اليمين المتطرف تتولى الإشراف على تلك النشاطات المحمومة.

تأجيج الكراهية والعنف

يمزج الفيلم ببراعة بسبب طابعه الواقعي ما بين شكل الفيلم الوثائقي وبين اليوميات التي تتجلى فيها طباع العشرات من الشخصيات التي يسقي بعضها بعضا ذلك الشعور العنصري، لكن المخرج وفي موازاة ذلك يوصل لنا معلومة ضمنية يظهر فيها كارل نفسه ومع ثلة من حلقته الضيقة هو الذي يحمل القنبلة التي انفجرت في المبنى الذي تسكن فيه عائلة ماكسي فيما هو يعبر عن التعاطف الشديد معها.

شخصيات تخفي أحقادا عنصرية قاتلة

> الفيلم يمزج ببراعة بسبب طابعه الواقعي بين شكل الفيلم الوثائقي واليوميات التي تتجلى فيها طباع العشرات من الشخصيات

ولنذهب إلى ما هو أبعد من ذلك في تصعيد درامي كبير يشمل أوروبا برمتها من خلال قرار كارل والحلقة المقربة منه أن يطلقوا الرصاص عليه ويردونه قتيلا، لكي تنطلق شرارة كراهية مطلقة تحيلنا وتذكرنا بفيلم التطهير بأجزائه الثلاثة، الذي يقدم وعلى مدار ليلة واحدة جحيما حقيقيا من الانتقام وكذلك يفعل أصحاب كارل عندما يتقدمون نحوه وهم مقنّعون ويمطرونه بالرصاص لتنطلق شرارة انتقام عشوائي يقوم بها المنصارون له والمتصارخون، كلنا كارل.

لكن الصدمة الكبرى تقع بالنسبة إلى ماكسي التي تجد نفسها في وسط دوامة ما بين العلاقة التي نشأت بينها وبين كارل وما تشاهده من عمليات انتقام عشوائية ووحشية تطال أي أجنبي يسير في الطريق، ليشتعل العنف المقابل في العديد من الدول الأوروبية.

لا شك أن المساحة الزمنية التي تم نسج خطوط السرد من خلالها قد قربتنا كثيرا من صورة واقع اجتماعي تم الغوص فيه بكونه زمننا الراهن وأزمتنا الإنسانية الوجودية ذلك أن الفيلم يلامس في الصميم ما في ذواتنا من ألم وشعور بوطأة اللاإنسانية، ومن خلال ذلك تقديم سلسلة من أجمل المشاهد المصنوعة بعناية وهي اختبار ماكسي ووالدها والمهاجر يوسف وهم في حالة من الذعر الشديد ولا يعلمون من أين يمكن أن يأتيهم الرصاص أو العنف الذي يسلطه عليهم أحد العنصريين.

مشهد انشداد يوسف لماكسي ووالدها هو الذي اختصر كل شيء وهما يجوسان في نفق مظلم لا تكاد تبدو نهاياته، بينما يردد يوسف بلكنته العربية الشامية كلمات تتغنى بالغد وزوال الظلام وكل ذلك على وقع الصراخ والعويل والرصاص العنصري المنهمر في كل مكان وحيث اختلطت الحقائق وكثر أولئك المقنعون الذين يرتكبون الجرائم ثم يتوارون ويلصقونها بالمهاجرين من المسلمين بينما هو هناك يتفرجون على تأجيج الكراهية والعنف.

نهايات غير سعيدة على الشاشات لحياة أرضية في حالة انهيار

يجري تداول الكثير عما آلت إليه المتغيرات على سطح الكرة الأرضية في ما يتعلق بالظواهر والنتائج المترتبة عن الاحتباس الحراري وما تواجهه البشرية من نهايات غير سعيدة ومخيفة، وهو ما ظلت الشاشات ساحة لنقل تفاصيله من خلال شخصيات تواجه المصاعب والتحديات في وسط عالم ديستوبي يمثل الانهيار الكامل على سطح تلك الأرض التي تعيش شيخوخة متوقعة وتداعيات غير محدودة مع خروج المتغيرات الجغرافية والطبيعية عن السيطرة.

ولعلها صورة تراجيدية مستقبلية تلك التي عني بها العديد من المخرجين وشهدت العديد من التجارب الملفتة للنظر والتي كان محورها الأساس هو الإنسان في وسط أزماته الطاحنة وهو يواجه قدره بصدر عار ولربما صار شائعا في موازاة ذلك أن تكتفي الحكومات بالتعبير عن القلق وفي أقصاها إعلان حالة الطوارئ لغرض التصدي للجائحة القادمة.

وعلى فرض أن هنالك ما يدفع بشكل جدي إلى هذا النوع من الأفلام فإنها يمكن أن تختصر بجماليات الديستوبيا الأرضية التي نحن بصددها.

قدمت السينما العالمية في أكثر من فيلم يعالج ثيمة الانهيار العظيم، شخصيات الزومبي التي تكون قد أصيبت بالوباء المترتب عن خراب العالم، وقد شهدنا مثل تلك القصص في العديد من أفلام الخيال العلمي حتى صارت شخصية الزومبي المسعور والمتعطش للدماء علامة فارقة في مثل هذه النوعية من الأفلام.

ونستحضر هنا أفلاما من هذا النوع، نذكر منها أفلام "ليلة الموتى الأحياء" (إنتاج 1968)، "يوم الموتى" (1985)، "رجل المقبرة" (1994)، "فجر الموت" (2004)، وكل من فيلمي "بعد أسابيع" و"كوكب الرعب" (2007)، وأيضا "أرض الزومبي" و"ثلج ميت" (2009)، وأفلام أخرى كثيرة.

وفي الفيلم الجديد "صندوق الطيور" للمخرجة الحاصلة على الأوسكار والغزيرة الإنتاج سوزان بيير، سوف نكون في مواجهة نوع مختلف كليا من كائنات الزومبي، بل إنها تبدو وكأن وجودها عرضي في وسط الأزمة.

والحاصل أن وباء يفتك بروسيا تنقله وسائل الإعلام وشاشات الفضائيات، يجعل البشر يمارسون أفعال الزومبي ثم يقدمون على الانتحار بأي طريقة، وفيما الجمهور يتفرج، إذ بالوباء يفتك بالناس في أماكن أخرى ومنها الولايات المتحدة.

تتعدد خطوط السرد في هذه الدراما المتصاعدة، حيث الأحداث مأخوذة من رواية حملت نفس العنوان للكاتب جوش ميلرمان، إذ ترتبط مالوري بإنسان ودود هو جندي سابق في العراق، وهو توم (الممثل تريفانت روديس) الذي يرعى مالوري وطفليها، علما أن الولادة تتم بمعجزة في أثناء احتجاز الجميع في منزل دوغلاس.

وحفل الفيلم بتحولات زمانية ومكانية فرضتها المعالجة السينمائية التي اعتمدتها المخرجة في التنقل بين أزمنة وأماكن من الماضي والحاضر، وهي معالجة كانت دافعا لغزارة تعبيرية وتنوع جمالي في الأماكن، وخاصة مشاهد هرب مالوري والطفلين ثم إبحارها معهما.

فيلم "الأيام الأخيرة للجريمة في أميركا" هو فيلم آخر ينتمي لذات النوع وهو يقدم صورة لحلم الأميركان في حقبة الانهيار وهو ينتقل إلى فوضى عارمة.

> المتغيرات التي يشهدها الكون والتهديد بنهايات مأساوية خلقا نوعا من الأفلام يختص بجماليات الديستوبيا الأرضية

ليس أكثر من أسبوع، وتهيج أميركا وتموج وتعجّ بالجريمة وتعمّ الفوضى ثم يعمّ الشلل التام ويعجز المجرمون عن ارتكاب جرائمهم، ويتم وصول السلطات إلى المسروقات الضخمة التي يراد الهرب بها إلى الخارج. هي خلاصة فيلم "الأيام الأخيرة للجريمة في أميركا" للمخرج أوليفيه ميغاتون الذي تعرضه حاليا نتفليكس، والذي تزامن مع الاحتجاجات الأخيرة للشارع الأميركي.

ينجح المخرج في رسم صورة واقع شامل متّسع أصابه العطب وتفشى فيه الخراب ولا يتردّد في استخدام اللقطات العامة التي تظهر كل التفاصيل، فهو لا يخشى أن تعلق صورة مشرقة وسط الخراب لأن نسبة الخراب تكون هي الطاغية.

قدم المخرج أوليفيه ميغاتون أسلوبا سرديا مميزا وحيث الفوضى تعمّ الشوارع المليئة بالمشردين والصعاليك، علاوة على القتل والتعدّي وتعرية الفتيات، هو كل ما يظهره الفيلم في جزئه الأخير، وهنا يقول تعليق عابر في الفيلم إن الحكومة الأميركية كان هدفها من كل هذا السيطرة على عقول الناس على اعتبارهم كانوا جميعا مجرد فئران تجارب.

وها نحن في زمن ما بعد الحرب العالمية الثالثة، وقد مرّ أكثر من عقد من السنين وجدت فيه البشرية نفسها عاجزة عن لمّ شتاتها بل إن الناجين لم يعد مهمّا من يكونون. ولكن الأهم هو ماذا سيفعلون وكيف سوف يوازنون مسار حياتهم حتى أن الكارثة أفقدتهم أسماءهم ولم يعودوا يستخدمون تلك الأسماء لمناداة بعضهم.

في مدخل كأنه لفيلم وثائقي، يستعرض المخرج أندرو جيلبيرت في فيلم "حافة الانقراض" يوميات أحد الناجين (الممثل لوك هوبسون) وهو الشخصية الرئيسية في العمل السينمائي، يعيش وحيدا في قبو يخزّن فيه الطعام واللوازم الأخرى بعدما صار الحصول على الغذاء أمرا بالغ الصعوبة.

وفي مثل هذه الأجواء التي تقدّمها العديد من أفلام الخيال العلمي سوف تبرز مهارات فردية مؤثرة. لكن في هذا الفيلم ضعفت فيه تلك المهارات بل إن الشخصية الرئيسية التي بدت مقنعة في أدائها، إلّا أنها كانت الأكثر هشاشة.

* ط. ع

المهرجانات وحدها لا تنتج أفلاما ولا مبدعين

الفيلم والمهرجان مثل وجه ومرآة، يمكن أن ترى فيها الحقيقة الفيلمية الكاملة وإلى أين وصل الفن السابع إبداعا ومخرجين ومنتجين وكتابا للسيناريو وممثلين، وبذلك تحولت المهرجانات إلى حاضنة حقيقية تكتشف من خلالها وعيا إنسانيا وثقافة بشرية تتجلى صباح مساء على الشاشات.

> المهرجانات السينمائية ليست فقط ضيوفا وعرض أفلام بل هي طريقة لتنمية الإنتاج السينمائي ونوع من الدبلوماسية الثقافية

وبذلك أيضا عدنا إلى جوهر المهرجان وغايته في كونه نوعا من الدبلوماسية الثقافية الناعمة التي تلجأ إليها الدول وتدعمها، بل وتمرر من خلالها ما تشاء من رسائل وفي موازاة الرسالة الثقافية – الدبلوماسية هنالك أجواء السوق والتجارة والبيع والشراء، هنالك المنتجون والموزعون في شكل دكاكين مفتوحة تشاهدها في سوق مهرجان عملاق مثل مهرجان كان أو برلين أو غيرها من المهرجانات الكبرى.

فالمهرجان ليس واجهة لتبذير المال بلا طائل، بل إن المهرجانات العريقة تعي جيدا أن ما تنفقه من أموال يجب أن يسترجع من خلال مصادر أخرى ليس أقلها الإعلانات وصفقات بيع الأفلام والاتفاق مع المنتجين وأجور المشاهدة وغيرها من المنافذ الأخرى.

في موازاة ذلك عندما تغيب فلسفة المهرجان تغيب الغاية منه، التجمع الذي يستقطب الفضائيات وكاميرات الصحافة لالتقاط العابرين على البساط الأحمر والأهم صور العابرات، وحيث تسربت الطريقة الأميركية إلى العديد من المهرجانات، ومنها مهرجانات عربية، وهي كون ذلك المكان الذي اسمه المهرجان هو وسيلة تجارية لاستعراض فاتنات السينما وتسابقهن في أي الأزياء أكثر إثارة للجمهور وجلبا لاهتمام الصحافة والفضائيات.

وبعد ذلك ليس المهرجان مجرد صالة عرض خارجة عن إطارها الثقافي والفكري والجمالي، وليس من وظيفة المهرجان إجراء سباق مع مهرجان آخر في سرعة الوصول إلى الأفلام الجديدة، وذلك واقع فعلا في مرحلة ما عندما كانت المهرجانات العربية خاصة تقام في فترة زمنية متقاربة تدفع القائمين عليها إلى التسابق نحو سوق الأفلام العالمية وأي مهرجان لديه مدير شاطر يضع يده على فيلم أميركي جديد قبل أن تصل إليه يد مدير مهرجان آخر، حتى لو اقتضى ذلك دفع أموال كثيرة في بعض الأحيان.

في المقابل سوف يكون هناك مشاهد يترقب أن يشاهد سينما بلاده ومخرجي بلاده وتجاربهم الجيدة فأين هي وسط زحمة الغرباء القادمين من أقاصي الأرض وهم يحملون معهم أفلامهم؟

سوف يعلن المهرجان أنه ليس من مهامه إنتاج أفلام ولا إطلاق مخرجين، وذلك هروب من المسؤولية ولو هناك جزئية تقع على عاتقه وعلى عاتق القائمين عليه فهي أنه مطالب بتنمية السينما وليس الفرجة عليها فقط، ومطالب بإطلاق المواهب الجديدة وتسليط الضوء عليها ومنحها فرصة تستحقها، كما هو مطالب بدعم المشاريع التي تحتاج إلى الدعم لكي ترى النور وهو ما لا نراه في المهرجانات السينمائية العربية عامة وقناعتها بالاكتفاء بالتحول إلى قاعة عرض وبساط أحمر لا أكثر، وهو أقصر الطرق وأبسطها على الإطلاق، فالأفلام متاحة من كل أنحاء العالم عبر منصّات رقمية يمكن الحصول عليها باشتراك بسيط لا أكثر.

الاستغراق في هذه الدوامة لن يجعل أي مهرجان عظيما ولا مهما مهما كرّت دوراته وتعاقبت ومهما جيّر من نقاد وصحافيين لغرض إبراز الفضائل والسكوت على العيوب، ولهذا تبقى مسألة المثاقفة السينمائية ضرورية والمقصود بها هو نقل ثقافة المهرجانات الراسخة عالميا وتعلم تلك الصنعة لإطلاق المخرجين الجدد في تجاربهم الأولى، وتسليط الضوء على أفلام الشباب والمواهب الواعدة وبذلك تتنوع الندوات واللقاءات ذات القيمة الفكرية والثراء الجمالي التي يشارك فيها أولئك المبدعون القادمون الذين وإن لم ينتجهم المهرجان إلا أنه يمنحهم دفعة باتجاه التطور والنجاح..

* ط. ع

مصائر مؤلمة في عالم منهار

مايكروسوفت تستغل منصة إكس بوكس لتطوير الذكاء الاصطناعي العسكري

عوالم الألعاب تتيح مساحة ضخمة لتدريب نماذج عسكرية بحرية كبيرة

لا تخفي مايكروسوفت طموحها في تغيير واقع الحروب بالاعتماد على التكنولوجيا، وبعد فوزها مؤخرا بعقد صفقة مع الجيش الأميركي لتزويد القوات القتالية بتكنولوجيا الواقع المعزز، تستعد حاليا لإطلاق لعبة أيج أوف إمبايرز 4 على خدمة إكس بوكس، هدفها تطوير الذكاء الاصطناعي العسكري.

ألعاب حربية تعتمد على ذكاء اللاعب وتخطيطه

واشنطن – توقع عدد من الخبراء أن يستخدم عملاق التكنولوجيا مايكروسوفت لعبته، وهي بالأساس لعبة حرب استراتيجية لتحسين وتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي العسكرية.

ودفعت حقيقة أن لمايكروسوفت عددا كبيرا من العقود مع السلطات العسكرية الأميركية، البعض للاعتقاد بأن الشركة تستخدم ألعابها، وخاصة الحربية، لتطوير الذكاء الاصطناعي العسكري وتدريبه، وإن كان على نطاق صغير، لأن عوالم الألعاب توفر مساحة كبيرة للتدريب.

آدم إيزجرين

فريق التطوير سيضيف مستوى صعوبة جديدا، ما سيجعل الذكاء الاصطناعي الخاص باللعبة لا يقهر

وليست مايكروسوفت وحدها التي تدير مشاريع مع الجهات العسكرية، لكنها يمكن أن تتفوق على منافسيها غوغل وأمازون في هذا المجال من خلال الاعتماد على لعبة الفيديو، وهي لعبة حرب استراتيجية ضمن سلسلة تم إطلاقها في عام 1997، التي تستعد لإطلاقها قريبا ومن المتوقع أن تلاقي رواجا واسعا.

وتعرف شركة مايكروسوفت بأنها واحدة من أكثر الشركات التقنية ريادةً. وتمتلك الشركة عددًا ضخمًا من العقود الحربية مع جهات مختلفة كحال باقي الشركات التقنية. لكن مايكروسوفت قد تتفوق على منافسيها في هذا المجال بالاعتماد على لعبة فيديو. حيث إن مايكروسوفت تحضّر حاليًا لإطلاق لعبة أيج أوف إمبايرز 4 والتي ستتوفر مجانًا لمشتركي إكس بوكس جيم باس كما هي العادة. وقد تم تطوير اللعبة من خلال فريق خاص وسيتم نشرها من طرف استوديوهات إكس بوكس نفسها.

وتتضمن اللعبة،عدة مراحل حيث يتعين عليك العمل للفوز بالمنافسة بينك وبين قبائل العدو. ويكمن التحدي في مدى نجاحك في القيام بما هو ضروري لضمان حصولك على الرتب العليا، والتي تحددها ميزانيتك بالإضافة إلى الهيكل الذي أنشأته في إمبراطوريتك وقوة الجيش الذي عملت على بنائه.

وشرح المدير الفني لاستوديوهات إكس بوكس، آدم إيزغرين، حول تقنيات الذكاء الاصطناعي الخاصة بها منذ فترة قصيرة في إحدى المقابلات الصحافية. وأوضح أن اللعبة تعتمد على تقنيات تعلم الآلة لتطوير الذكاء الاصطناعي الخاص بها.

وعلى غرار ذلك، كشف إيزغرين أن فريق التطوير قد يضيف مستوى صعوبة جديدا. وهذا المستوى سيسمح لتقنيات تعلم الآلة بتدريب وتعليم نظام الذكاء الاصطناعي الخاص باللعبة بناء على أساليب اللعب الخاصة باللاعبين أنفسهم.

وحسب إيزغرين، هذا ما سيجعل الذكاء الاصطناعي الخاص باللعبة "لا يقهر". وفي حين أن اللعبة بالفعل تعتمد على الذكاء الاصطناعي من قبل الإطلاق، لكن ليس بالاعتماد على التعلّم من لعب الآخرين.

وتقدّم لعبة أيج أوف إمبايرز 44 لعب حربية استراتيجية أشبه بألعاب الطاولة. ولذلك فإن هذه اللعبة تعتمد على ذكاء اللاعب وتخطيطه إلى حد كبير.

وفي ظل امتلاك شركة مايكروسوفت لعدد كبير من العقود مع الجهات العسكرية فإن هذا قد دفع البعض للتفكير في أن مايكروسوفت تستخدم ألعابها، وتحديدًا الحربية، لتطوير وتدريب الذكاء الاصطناعي العسكري عمومًا حتى ولو على نطاق ضيق.

ولا تعد مايكروسوفت الوحيدة في ذلك، حيث إن عددًا من الشركات الأخرى تدير مشاريع مع الجهات العسكرية مثل البنتاغون بمليارات الدولارات. وهذا يشمل كلًا من غوغل وأمازون بطبيعة الحال.

وكان عملاق البحث غوغل قد أثار منذ عامين احتجاجات عندما سمح لوزارة الدفاع الأميركية بنتاغون باستخدام تكنولوجيا التعرف على الصور الخاصة به في إطار مشروع عسكري.

وجاء الإقرار بعد أن أفاد تقرير لموقع "غيزمودو" الإخباري بأن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي تلك تستخدم لتحليل صور التقطتها طائرات موجهة.

وترى أوساط تكنولوجية أن إنجازات مايكروسوفت في مجال الألعاب قد تساهم بشكل أو بآخر في تحسين تقنيات الذكاء الاصطناعي العسكري الخاص بها. وذلك لأن عوالم الألعاب تتيح مساحة ضخمة لتدريب بعض النماذج بحرية كبيرة.

إلا أن هذا ليس بالأمر المؤكد، ولا يزيد عن كونه افتراضا مبنيا على تصريحات إزغرين من ناحية. وعلى النمو السريع لتقنيات الذكاء الاصطناعي من ناحية أخرى. لكن افتراض أن مايكروسوفت تستخدم منصة إكس بوكس لتدريب الذكاء الاصطناعي الحربي هو افتراض مثير للاهتمام. ويلاحظ الخبراء انخراط مايكروسوفت القوي في تكنولوجيا الحروب المستقبلية، في السنوات الأخيرة.

وكانت مايكروسوفت قد أعلنت عن عقد صفقة مع الجيش الأميركي، في أبريل الماضي، لتزويد القوات القتالية بتكنولوجيا الواقع المعزز، حيث ستمكن هذه التقنية لسماعات الرأس من تعزيز وعي الجنود بمحيطهم لتحديد الأهداف والمخاطر مما سيساعدهم على اكتساب تفوّق في ساحات المعارك.

وتعتمد هذه التقنية على سماعات الرأس هولولينس من مايكروسوفت، والتي كانت مخصصة لألعاب الفيديو وصناعات الترفيه في الأصل.

وقد رأى مسؤولو البنتاغون في التكنولوجيا المستقبلية، التي يسميها الجيش نظام التعزيز البصري المتكامل، وسيلة لتعزيز وعي الجنود بمحيطهم وقدرتهم على تحديد الأهداف والمخاطر. فهي تتيح للمستعملين رؤية صور افتراضية متراكبة فوق العالم المادي أمامهم، من الصور المجسمة في عوالم الألعاب الافتراضية إلى تعليمات الإصلاح التي تطفو فوق أداة معطلة.

وقد بدأ الجيش في اختبار نظام مايكروسوفت لأول مرة ضمن عقد قيمته 480 مليون دولار في 2018، وقال إنه يمكن استخدام الجهاز للتدريب وفي المعركة الفعلية. وسيمكن العقد الجديد مايكروسوفت من إنتاج وحدات لأكثر من 120 ألف جندي.

وكانت وكالة مشاريع الأبحاث الدفاعية المتقدمة، التي تعتبر الذراع العلمية للجيش الأميركي، قد قدمت منذ عامين رؤيتها لمعارك الغد، حيث سيكون للذكاء الاصطناعي دور كبير.

وقدم علماء وجنرالات شروحا لكيفية شل أجهزة دفاع العدو والانتصار عليه، عبر الدخول في معركة معه بطريقة "فسيفسائية" تشارك فيها الطائرات الخفية من نوع أف – 35، مع "أسراب" من الطائرات المسيرة القتالية وتلك الخاصة بالمراقبة أو التزود بالوقود، مع أقمار اصطناعية، وسفن وغواصات مسيرة من دون قائد.

زوكربيرغ يشوّق جمهور فيسبوك لعالم ميتافيرس

عملاق شبكات التواصل الاجتماعي يبدأ ترويج النموذج الأولي لجهاز الواقع الافتراضي

واشنطن – تنسج شركة فيسبوك أحلامها حول مستقبل ميتافيرس، وهو مفهوم يجمع بين العالمين الحقيقي والافتراضي إلى درجة الانصهار، وتراهن عليه لتنقل إلى العالم ثورة جديدة في عالم التكنولوجيا والإنترنت، في محاولة لتجاوز النكسات التي تعرضت لها في الآونة الأخيرة إثر انقطاع مواقع التواصل التابعة لها على مدى ساعات طويلة. وتعد هذه البادرة خطوة غير مسبوقة.

وروّج مارك زوكربيرغ الرئيس التنفيذي لشركة فيسبوك، وقائد الواقع الافتراضي ضمن الشركة أندرو بوسورث، النموذج الأولي لجهاز الواقع الافتراضي أو الواقع الغامر عبر صور جديدة.

ونشر زوكربيرغ وبوسورث صورًا لهما وهما يرتديان نماذج أولية لنظارة الرأس ويربطان المفاهيم بعمل فيسبوك على ميتافيرس.

قائد الواقع الافتراضي

ولئن كانت هذه النماذج التي يرتديانها غير مضمونة بأي حال من الأحوال لتصبح منتج بيع بالتجزئة فعليًا، فإنها تمثل نظرة إلى ما يجري في مختبر الواقع الافتراضي في فيسبوك.

وتبدو نظارة الرأس التي يرتديها زوكربيرغ مشابهة لنظارة الرأس Oculus الخاصة بالشركة، ورغم ذلك يعتبر أن دقتها موازية لدقة شبكية العين، وهي عبارة مستعارة من شركة آبل للشاشات ذات كثافة بكسل العالية، حيث لا يمكنك تمييز النقاط الفردية عبر مسافة التشغيل العادية.

وتتميز سماعة الرأس التي يرتديها بوسورث بتصميم أفضل، وتبدو مثل الرسومات والأوصاف الخاصة بنظارة آبل للواقع الافتراضي.

وبعيدًا عن تعليق زوكربيرغ الغامض حول شبكية العين لا توجد أي تفاصيل بشأن نوع نظارة الرأس التي يسوّقان لها وقدراتها أو حتى ما إذا كانت مجرد نماذج تصميم غير وظيفية.

وقد يكون هذا الغموض متوقعًا، وذلك بالنظر إلى أن هذا ليس إعلانًا عن منتج من فيسبوك.

ولئن أصدرت الشركة نظارات راي بان الذكية التي لا تحتوي على شاشة، والتي وصفتها بأنها خطوة نحو نظارات الواقع المعزز الكاملة، فإن مختبر الواقع الافتراضي في فيسبوك يسوّق أيضًا للعديد من النماذج الأولية التي ربما لن تتمكن من الوصول إلى السوق.

ويتضمن ذلك أشياء مثل النظارة التي تترجم وجهك عبر مقدمة نظارة الواقع الافتراضي، ونظارات الواقع المعزز التي تركز على الأبحاث، ومجموعة إثبات المفهوم لنظارات الواقع الافتراضي التي تظهر لك عالمًا افتراضيًا بدلاً من زيادة العالم الحقيقي.

وبدلاً من عرض نظارة الرأس القابلة للبيع يبدو أن زوكربيرغ يروج لما يسمى ميتافيرس الذي تقول الشركة إنه عالم افتراضي يمكن أن يكون الإصدار التالي من الإنترنت.

وتسعى فيسبوك للاستثمار في تقنيات الواقعين المعزز والافتراضي بشكل كبير، وتحاول أن تتحرك بالمستخدمين تجاه عالم ميتافيرس الذي يذيب الحدود الفاصلة بين العوالم المختلفة.

وكانت فيسبوك قد أعلنت عن صندوق بقيمة 50 مليون دولار تقول إنه يساعدها في تطوير ميتافيرس، العالم الرقمي الذي يمكن الناس من استخدام أجهزة مختلفة للتنقل والتواصل في بيئة افتراضية بشكل أكثر مسؤولية، ويطلق عليه رسميًا اسم صندوق XR للبرامج والأبحاث.

وتقول الشركة إن الأموال يتم استثمارها على مستوى العالم في البرامج والأبحاث الخارجية على مدار عامين لضمان أن تكون تقنيات ميتافيرس مبنية بطريقة شاملة وفعالة.

واستثمرت أكبر شبكة اجتماعية في العالم بشكل كبير في الواقع الافتراضي والواقع المعزز، وتطوّر أجهزة مثل نظارات الرأس Oculus VR وتعمل على إصدار نظارات الواقع المعزز وتقنيات المعصم. وتعرضت الشركة لانتقادات بسبب تأثيرها في الأمان على الإنترنت.

ومولت الشركة سابقًا بحثًا أكاديميًا حول التأثير الاجتماعي للأجهزة القابلة للارتداء في الواقع المعزز، وطلبت مقترحات بشأن أجهزة الواقع الافتراضي.

فيسبوك تعرّف منصة ميتافيرس بأنها مساحات افتراضية، حيث يمكنك التفاعل مع أشخاص آخرين لست معهم جسديًا

وتعتبر فيسبوك ميتافيرس منصة الحوسبة التالية، وتقول إن الشركة عملت مع صانعي السياسات والباحثين وشركاء الصناعة أثناء إنشائها.

وذكرت الشركة أنها تخطط للعمل مع الباحثين في أربعة مجالات بما في ذلك خصوصية البيانات والسلامة، للسماح للمستخدمين بالحصول على المساعدة إذا كان هناك شيء في ميتافيرس يجعلهم غير مرتاحين.

وأضافت أنها تبحث أيضًا في كيفية تصميم تقنيات شاملة ومتاحة لجميع المستخدمين مع تشجيع المنافسة في الصناعة الناشئة.

ويشمل الشركاء الأوليون لصندوق ميتافيرس الجديد جامعة هوارد في واشنطن العاصمة، التي تبحث في تاريخ التنوع في صناعة تكنولوجيا المعلومات وكيف يمكنها تشكيل الفرص في ميتافيرس.

وقالت الشركة إن جامعة سيول الوطنية وجامعة هونغ كونغ تبحثان في السلامة والأخلاق والتصميم المسؤول.

وتعرّف الشركة منصة ميتافيرس بأنها مساحات افتراضية، حيث يمكنك الاستكشاف والتفاعل مع أشخاص آخرين لست معهم جسديًا.

وتقول فيسبوك إن هدف الصندوق هو التأكد من أنها تبني الجزء الخاص بها من ميتافيرس مع التركيز على التوافق مع الخدمات الأخرى، بالإضافة إلى الشمولية والخصوصية والأمان والفرص الاقتصادية.

وأكبر برنامج ميتافيرس من الشركة في الوقت الحالي هو عبارة عن منصة تسمى Horizon، وتوجد كتطبيق Oculus تجريبي يتيح للأشخاص عقد اجتماعات في الواقع الافتراضي.

ونظرًا لضخامة عالم ميتافيرس من المتوقع أن يكون خليفة شبكة الإنترنت التي نعاصرها حاليًا. وفي ظل وجود تقنيات مثل شبكات الجيل الخامس والذكاء الاصطناعي وكذلك الواقع المعزز من المتوقع لبرنامج ميتافيرس أن ينمو ويزدهر بسرعة.

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

الأعباء المعيشية والاجتماعية تشغل الشباب العربي عن السياسة

مستوى عال من المرونة لدى الجيل الجديد رغم خيبات أمله بشأن البطالة

تغيرت مشاغل الشباب العربي وأعباؤهم المعيشية بعد جائحة كورونا والصراعات المستمرة والتدهور الاقتصادي، إذ يتركز قلقهم اليوم على الأوضاع المعيشية الصعبة التي انعكست على حالاتهم النفسية وخططهم المستقبلية في الدراسة والعمل.

قلق دائم بشأن عدم القدرة على تحمل تكاليف المعيشة

دبي – يشعر الشباب في عدد من الدول العربية أنهم أكثر بعدا عن أحلامهم بعد أن أصبح مستقبلهم في البلد الذي ولدوا وترعرعوا فيه بات مهددا أكثر من أي وقت مضى مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية وازدياد الصعوبات المعيشية.

ولم يبق المراهقون والشباب بمنأى عن تداعيات الأزمات على الصعد الاجتماعية والمهنية والأكاديمية والنفسية.

وتقول التونسية سلوى المنصور (19 عاما) إنها كانت تخطط للتخصّص في مجال الكيمياء الحيوية في الجامعة، لكنها اليوم لا تبدو واثقة مما تريده خصوصا بعدما بات سوق العمل ضيقا للغاية.

وتوضح "حلمي أن أكبر وأحقق طموحاتي وكل شيء أريده"، لكنها اليوم تسأل نفسها "هل سأضطر لأغيّر الاختصاص الذي أودّ متابعته بسبب الأوضاع المعيشية في البلد؟ هل سنحقّق أحلامنا أم أننا سنواصل الحلم فقط؟".

والمنصور هي نموذج للكثير من الشباب في تونس وغيرها من الدول العربية التي تواجه تراجعا في الوضع المعيشي، سبب إحباطا وتغييرا في مخططات الشباب لتكون الأولوية لتأمين متطلبات الحياة الأساسية وسط قلق دائم بشأن عدم القدرة على تحمل تكاليف المعيشة المتزايدة يوما بعد يوم.

ميل للانتحار

وكشف استطلاع "أصداء بي.سي دبليو" الثالث عشر لرأي الشباب العربي، الذي صدر هذا الأسبوع، عن قلق الشباب في عدد من الدول العربية من تكاليف المعيشة، وخاصة بعد جائحة كورونا والصراعات المستمرة والتدهور الاقتصادي.

> استراتيجيات الشباب العربي لزيادة فرص العمل هي مكافحة الفساد وإصلاح نظم التعليم وتوفير معلومات التشغيل

وأثرت الأوضاع المعيشية الصعبة على الحالة النفسية للشباب وتسبب القلق بهذا الشأن بالميل إلى الانتحار في العديد من الدول العربية مثل لبنان وتونس والعراق.

وذكر موقع "المونيتور" في تقرير له أن حالات الانتحار باتت ترتفع في أوساط الشباب العراقي جراء فشل الطبقة السياسية الحاكمة في حل مشاكلهم وتحقيق أحلامهم في حياة كريمة وآمنة.

وكان مكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان قد كشف في وقت سابق عن وقوع 298 حالة انتحار في العراق بين الفترة الممتدة من الأول من يناير حتى الثلاثين من أغسطس 2020، لتكون أعلى نسبة مقارنة بالعام 2003.

وأظهرت دراسة إحصائية حكومية ارتفاع حالات الانتحار من 319 في عام 2003، باستثناء إقليم كردستان العراق، إلى 519 في عام 2019.

لكن الأرقام قد تكون أعلى من ذلك بكثير، إذ تحاول بعض العائلات إخفاء الانتحار كسبب للوفاة بسبب الانطباع السلبي لدى المجتمع عنه، والكثير من حالات الانتحار يجري تسجيل سبب الوفاة فيها على أنه "موت مفاجئ".

ووفقا لتقرير صادر عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسف" فإن 4.5 مليون أي 11.7 في المئة من العراقيين يعيشون تحت خط الفقر نتيجة لجائحة فايروس كورونا والآثار الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة به مما أدى إلى فقدان الكثير لوظائفهم وبالتالي ارتفاع الأسعار، وأشارت المنظمة إلى ارتفاع نسبة الفقر إلى 31.7 في المئة بعد أن كانت 20 في العام 2018.

وبحسب خبراء فإن الارتفاع المستمر في معدل البطالة في العراق أحد الأسباب الرئيسية للانتحار، وذكرت مصادر في الحكومة العراقية أن طرق الانتحار مختلفة، بما في ذلك الشنق والحرق والغرق والتسمم وإطلاق النار والاختناق وقطع الوريد.

وتؤكد تقارير مؤسسات الدولة العراقية أن الشباب هم الفئة الأكبر بين حالات الانتحار، وتشير إلى أن الأسباب عادة ما تكون البطالة وعدم وجود أمل في إصلاح حقيقي من شأنه تحسين أوضاعهم في البلاد.

والوضع مشابه إلى حد ما في تونس، فقد كشفت بيانات إحصائية لمنتدى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية أن أكثر التونسيين إقداما على الانتحار هم الذكور من الفئة العمرية بين 26 إلى 35 سنة، وذلك بنسبة 60 في المئة من الحالات المسجلة خلال شهر أغسطس الماضي.

وبيّن تقرير المنتدى أن 7 من كل 12 محاولة أو حالة انتحار قام بها شباب تجاوزوا سن الـ26، وجميعهم من الذكور، ويليهم ذكور أيضا من الشريحة العمرية بين 36 إلى 45 سنة، بمعدل حالتين من المجموع العام المسجل خلال أغسطس الماضي، ويبرز التوزيع الجغرافي للحالات المرصودة أن نصفها من محافظة تونس العاصمة، وأن 41.7 في المئة منها تم شنقا.

وفسّر عضو المنتدى الحقوقي رمضان بن عمر تنامي ظاهرة الانتحار في صفوف الشباب بثقل العبء الاجتماعي والأسري الملقى على عاتقهم، إذ باتت هذه الفئة تواجه صعوبات كبيرة بعد جائحة كورونا، ما يخلف أزمات نفسية حادة، تنتهي لدى بعضهم بالانتحار.

أما في لبنان الذي يشهد أوضاعا مأساوية، وبحسب تقديرات البنك الدولي، فإنه حتى منتصف عام 2020 تبيّن أن نسبة الفقر قد بلغت 52 في المئة. ويدخل إلى سوق العمل اللبنانية نحو 30 ألف فرد سنويا، يتطلب استيعابهم خلق أكثر من ستة أضعاف عدد الوظائف الموجودة أساسا، علما بأن متوسط صافي فرص العمل المتاحة يبلغ نحو 3500 وظيفة فقط.

وازدادت مخاوف الشباب الذين كانت لديهم مشاريع مستقبلية، فهم اليوم يخشون من إضافة أعباء مالية جديدة على أسرهم التي تأثرت كما العائلات اللبنانية كافة بتداعيات الأزمة الاقتصادية في ظل انهيار الليرة والقيود المصرفية المشددة.

وتشرح رانيا عساف (18 عاما) أنها باتت غير واثقة من إمكانية دخولها سوق العمل إذا ما استمرت الأزمة وتداعياتها لسنوات طويلة، مضيفة "أشعر بالخوف والقلق بشكل يومي إزاء هذا الموضوع".

ويرتّب الوضع القائم أعباء على المراهقين والمراهقات. وقالت المعالجة النفسية الدكتورة نازك الخوري إنّ "الضغط النفسي ليس ناتجا فقط عن عدم توجيه المراهقين بل أيضا جراء الأزمة الاقتصادية التي تشكل عائقا على درب طموحات الشباب".

ويدفع ذلك من هم في سن المراهقة إلى "طريق غير راغبين به وغير راضين عنه، ما يؤدي إلى الاكتئاب ومحاربة النفس، فيدخلون في مرحلة التفكير المفرط وتشتّت الأفكار".

ونصحت الخوري الشباب في هذه المرحلة بأن "يبوحوا ويصرّحوا ويعبّروا عما يزعجهم والمشكلات التي تعترضهم" انطلاقا من أن "عملية البوح عن الهواجس تعطي المشكلة حجما أصغر مما هو متوقع".

ولا يعتري القلق الطلاب الذين يستعدون لبدء تحصيلهم العلمي الجامعي فحسب بل يطال أيضا عائلاتهم التي تراجعت قدراتها الشرائية وقيمة مدخراتها.

ووفق استطلاع "أصداء بي.سي دبليو" أعرب 89 في المئة من الشباب العربي عن قلقهم البالغ بشأن ارتفاع تكاليف المعيشة. كما أكد 8 من كل 10 أشخاص قلقهم بشأن البطالة وجودة التعليم، بينما قال أكثر من ثلثهم أي 37 في المئة إنهم يكافحون لتغطية نفقاتهم. وأشار ثلث هؤلاء 33 في المئة إلى خسارتهم، هم أو أحد أفراد أسرتهم، لوظائفهم بسبب جائحة كوفيد – 19.

تطلعات مستقبلية

وتركز دراسة "أصداء بي.سي دبليو" على الفئة السكانية الأكبر في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتي تضم ما يزيد على 200 مليون شاب وشابة، وشمل الاستطلاع 3400 مواطن عربي تتراوح أعمارهم بين 18 و24 عاما في 50 مدينة عبر 17 دولة خلال الفترة الممتدة بين السادس والثلاثين من يونيو 2021. وتم إجراء المقابلات لصالح أصداء "بي.سي دبليو" من قبل شركة "بي.إس.بي إنسايتس" المتخصصة في التحليل والدراسات الاستراتيجية العالمية، وتوزعت عينة الاستطلاع بالتساوي بين الرجال والنساء.

وقال سونيل جون رئيس شركة "بي. سي دبليو الشرق الأوسط" ومؤسس "أصداء بي.سي دبليو"، "كشف استطلاع هذا العام بعضا من تداعيات الجائحة، وكذلك المساعي اللازمة لتحقيق التطلعات المستقبلية للشباب العربي. ومن ناحية أخرى، أبرز مستوى التفاؤل والبراغماتية التي يتحلى بها الشباب العربي. وتمنحنا هذه الإيجابية حافزا مهما ومنصة ممتازة تتيح لصناع السياسات إرساء مستقبل أفضل وأجمل".

ومُنيت اقتصادات الشرق الأوسط العام الماضي بخسائر قُدِّرت بنحو 227 مليار دولار أميركي نتيجة تفشي جائحة كوفيد – 19، مما أوصل بعض الدول إلى حافة الإفلاس. ومع هذا، ولدى سؤال الشباب عما إذا كانوا يعتقدون بأن أيامهم القادمة ستكون أفضل أم أسوأ، أعرب 60 في المئة من الشباب العربي المشاركين عن تفاؤلهم بالمستقبل، وهو أعلى مستوى تفاؤل يسجله الاستطلاع منذ خمس سنوات.

وأفاد الاستطلاع أن معظم الشباب العربي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يعتقدون أن أيامهم القادمة ستكون أفضل، وذلك على الرغم من الجائحة والصراعات المستمرة والتدهور الاقتصادي غير المسبوق في المنطقة.

وكشف عن مستوى عال من المرونة والتفاؤل لدى الشبّان والشابات العرب، وكذلك عن خيبات أملهم المتزايدة بشأن البطالة وجودة التعليم وارتفاع تكاليف المعيشة.

وقال نصفهم تقريبا بنسبة 48 في المئة إنهم سيحظون بحياة أفضل من آبائهم وهي النسبة الأعلى خلال السنوات الثلاث الأخيرة. كما قال نصف المشاركين في الاستطلاع إن اقتصادات بلدانهم تسير في الاتجاه الصحيح، وتوقع معظمهم انتعاشا اقتصاديا شاملا بحلول عام 2022.

ولا تخفف هذه النتائج المبشرة من حجم التحدي الذي يواجهه صناع السياسات الإقليميون، واختار الشباب العربي ثلاث استراتيجيات لزيادة فرص العمل، وتلخصت أهم أولوياتهم في: مكافحة الفساد والمحسوبيات، وتوفير المزيد من المعلومات بشأن فرص العمل المتاحة، وإصلاح نظم التعليم. وقالوا إنهم يأملون من حكوماتهم مساعدتهم في إطلاق أعمالهم التجارية الخاصة من خلال تسهيل الإقراض والحد من الروتين الحكومي.

ورصد استطلاع هذا العام تحولا ملحوظا في الآراء بشأن حقوق الجنسين، فبينما قالت 64 في المئة من المشاركات في استطلاع العام الماضي إنهن يتمتعن بحقوق مساوية للرجال في بلدانهن، بلغت نسبتهن هذا العام أكثر من النصف بقليل 51 في المئة. وتبدو الشابات اللبنانيات الأقل حظا مقارنة بالرجال، إذ قالت نسبة 44 في المئة منهن فقط إنهن يتمتعن بحقوق مساوية للرجال مقارنة مع 60 في المئة في العام الماضي.

وتوقف أيضا تقدم النساء في أماكن العمل، حيث قالت 46 في المئة من النساء المشاركات في الاستطلاع إنهن يتمتعن بفرص مهنية مساوية للرجال مقارنة مع 52 في المئة العام الماضي. وفي مؤشر يدعو للقلق، أعربت 44 في المئة من الشابات عن اعتقادهن بأن الرجال يتمتعون بفرص مهنية أفضل منهن هذه الأيام، حيث ارتفعت هذه النسبة من 35 في المئة في العام الماضي.

وكشف الاستطلاع ازدياد نسبة الشباب العربي الذين يثقون في حكوماتهم لمعالجة مشكلاتهم، حيث يعتقد نحو ثلاثة أرباع الشباب العربي 72 في المئة أن حكوماتهم تهتم لآرائهم، وهو ما يؤيده 88 في المئة من الشباب في دول الخليج. ويسود هذا الاعتقاد أيضا حتى في دول شمال أفريقيا وشرق المتوسط والتي شهدت اضطرابات كبيرة في السنوات الأخيرة.

وقالت دونا إمبيراتو الرئيس التنفيذي العالمي لوكالة "بي.سي دبليو" "على مدى 13 عاما، وفرت نتائج استطلاعنا السنوي لرأي الشباب العربي بيانات جيدة حول آمال ومخاوف وتطلعات الجيل الذي سيرسم ملامح مستقبل الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، هذه المنطقة التي تنطوي على أهمية كبيرة لازدهار وأمن ورفاهية العالم أجمع".

> 89
> في المئة من الشباب العربي أعربوا عن قلقهم البالغ بشأن ارتفاع تكاليف المعيشة

وأضافت إمبيراتو "دأبت هذه المبادرة الفكرية الأكبر في المنطقة على توفير رؤى غير متوقعة، الأمر الذي استمر خلال هذا العام مع التفاؤل المفاجئ الذي أبداه الشباب العربي على الرغم من التحديات الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على تفشي جائحة كوفيد – 19".

وتابعت "على العموم، تنطوي هذه الرسالة المستبشرة بالمستقبل على مسؤولية كبيرة، حيث يتعين على صناع القرار في الحكومات ومجتمع الأعمال على حد السواء أن يبذلوا ما بوسعهم لتحقيق تطلعات الشباب في بلدانهم إذا أرادوا إحراز التقدم المستمر الذي تحتاجه هذه الدول".

وأظهرت نتائج الاستطلاع أن الشباب العربي ينظرون إلى مصر والإمارات والسعودية باعتبارها الدول الحليفة الأقوى لبلدانهم، حيث قال 8 من كل 10 أشخاص إن هذه الدول حليف حقيقي أو حليف نوعا ما لبلدانهم. كما يرى الشباب العربي أن الصين وروسيا هما رابع وخامس أقوى الحلفاء في المنطقة، بينما تأتي المملكة المتحدة والولايات المتحدة في المرتبتين الثامنة والتاسعة على التوالي. وما يزال الشباب العربي يلمسون تأثير الولايات المتحدة في الشؤون الإقليمية، فقال أكثر من نصفهم 51 في المئة إنها صاحبة التأثير الأقوى في العالم العربي تليها السعودية بنسبة 29 في المئة والإمارات بنسبة 23 في المئة.

الشباب يعيدون التفكير بالمهن

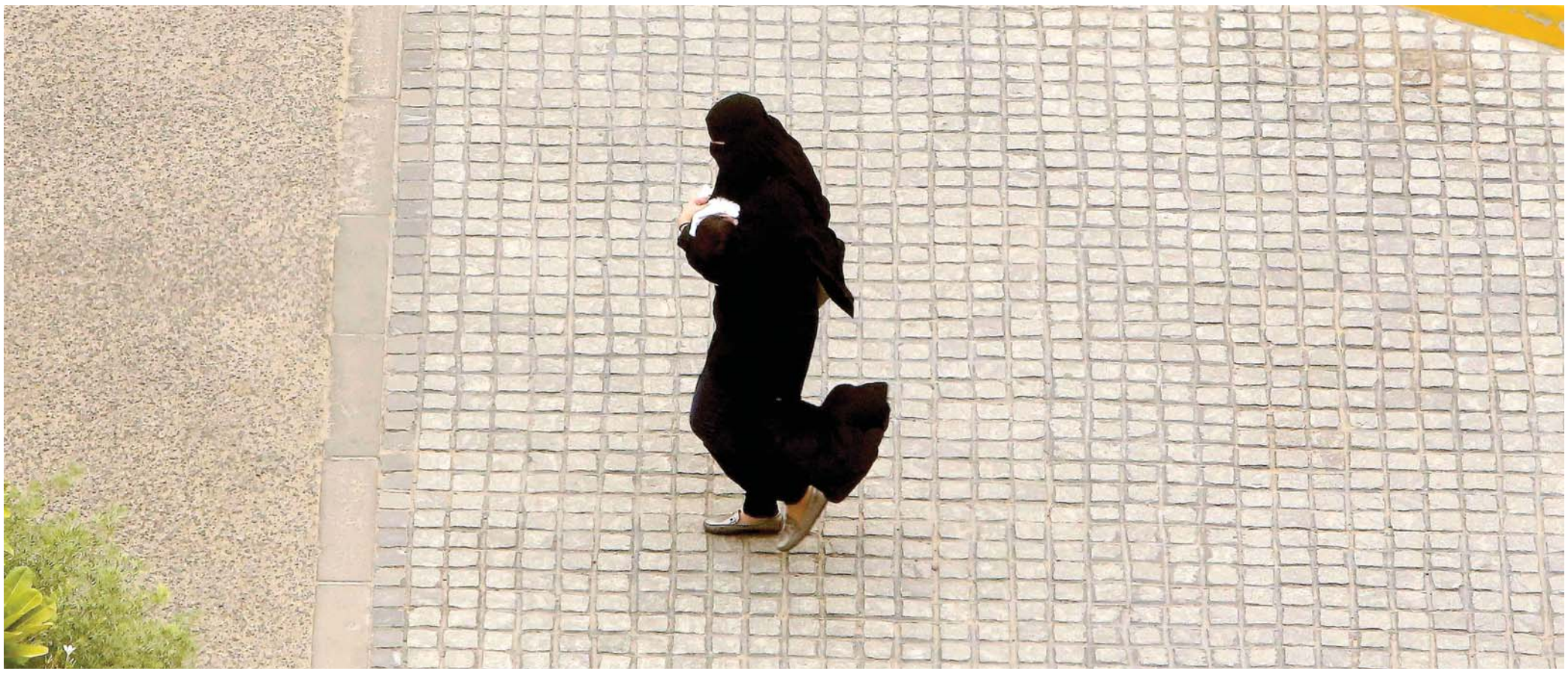

الكويتيات تحولن إلى إحصائيات تستعرض للإشارة إلى ارتفاع معدلات القتل

لا أحد يهتم كثيرا لقتل النساء بدافع الشرف في الكويت

عدم اقتران قانون حماية الأسرة بآليات تنفيذ يجعله عاجزا عن توفير الأمن للنساء

لم يفلح قانون الحماية من العنف الأسري الذي أقره مجلس الأمة الكويتي، في أغسطس 2020، في حماية النساء من العنف المسلط عليهن، ذلك أن النصوص القانونية الواردة فيه لم تقترن بآليات تنفيذ تجعله فاعلا. وينص القانون على إنشاء ملاجئ ومراكز إيواء للنساء المعنفات، وتخصيص خط ساخن لتلقي شكاوى العنف الأسري، لكن ذلك لم يكن موجودا على أرض الواقع.

الكويت – تشهد الكويت واحدة من مظاهرات التحرش الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي التي تحتل مركز الصدارة في جميع أنحاء العالم. وبينما كانت المرأة الكويتية تكافح من أجل حقوقها منذ عقود، اندلعت الحركة الأخيرة بعد مقتل ثلاث نساء في غضون أسبوعين. قُتلت المرأة الأولى برصاص ابن أخيها، وطعنت الثانية حتى الموت على يد زوجها، وآخر امرأة قتلها شقيقها.

هديل أبوقريص:
الجرائم التي تطال المرأة بشكل محدد سببها ضعف القوانين التي تكفل حقوقها وأمنها

آسيا الشمري:
آلية الإبلاغ عن التحرش الجنسي خطوة ضرورية في هذا البلد ولا يكفي أن تقول إنك ضده

بالإضافة إلى ذلك، قُتلت ست نساء خلال العامين الماضيين، في الغالب على يد أقاربهن الذكور ولكن في بعض الأحيان على يد رجال آخرين. وتحوّلت النساء إلى مجرد أرقام في إحصائيات تُستعرض للإشارة إلى ارتفاع معدلات القتل، دون التحقيق في سبب مقتلهن أو إلقاء نظرة فاحصة على هذه القضايا البارزة.

ويربط المحامي هشام الصالح النائب في مجلس الأمة، سبب ارتفاع معدل الجريمة في بلاده بـ"الظروف النفسية المصاحبة لفايروس كورونا"، وأن النساء لم تكن ضحايا الجرائم التي شهدتها الكويت مؤخرا فقط، بل استهدفت الحوادث بعض الرجال وعناصر أمن، على حد قوله.

ولكن الناشطة الحقوقية، هديل أبوقريص تعتبر أن الجرائم تطال المرأة بشكل محدد لـ"ضعف القوانين التي تكفل حقوقها وأمنها".

ويتفق البرلماني الكويتي مع هذا الطرح، مشيرا إلى أن الكويت بحاجة إلى تفعيل القانون الذي أقرته الدولة، وأنه يجب الالتزام بالمادة التي تنص على تشييد مأوى للمعنفات بعيدا عن مصدر الخطر.

كما أشارت مشاعل الشويحان عضو مجلس إدارة الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية، إلى عدم وجود رادع قانوني ضمن قائمة الأسباب التي تساهم في زيادة معدلات جرائم القتل ضد النساء في الكويت.

وقالت إنه في 20 سبتمبر 2020، أصدرت الكويت قانونا جديدا للحماية من العنف الأسري بعد إقراره في مجلس الأمة، ولكنه لم يطبق بالشكل الذي كان متوقعا.

وأضافت أن ما ينص عليه القانون من إنشاء ملاجئ ومراكز إيواء للنساء المعنفات، وتخصيص خط ساخن لتلقي شكاوى العنف الأسري، والسماح بإصدار أوامر حماية طارئة، غير موجود على أرض الواقع.

وقالت أبوقريص إن "النصوص القانونية الواردة فيه لم تقترن بآليات تنفيذ تجعله فاعلا"، وكذلك تؤكد الشويحان التي تقدمت وجمعيتها بطلب لوزارة الداخلية بتشييد مراكز إيواء.

وأشارت الشويحان إلى ضرورة التطبيق الفوري لنصوص القانون، على أن تتضمن توسيع صلاحيات الشرطة المجتمعية والسماح لها باقتحام المنازل.

وأكدت أنه إذا كان ذلك حدث على أرض الواقع، كان بالإمكان منع جريمة التيماء التي شهدتها الكويت، الخميس 2 سبتمبر 2021.

غياب الحماية

وفي جريمة التيماء، وصل رجال الأمن إلى منزل الضحية وطلبوا من الجاني إثبات أن شقيقته لا تزال على قيد الحياة، ليدخل المنزل ويقتلها قبل أن يعود إلى تسليم نفسه.

وعلقت الشويحان قائلة "لا بد من تفعيل قانون العنف الأسري وزيادة الوعي لدى العناصر الأمنية حول هذا النوع من الجرائم".

وترى الشويحان أن عدم إبلاغ الضحايا عن العنف هو ما يؤدي في النهاية إلى جريمة القتل، موضحة أن المرأة المعنفة تخشى الإفصاح عن ذلك بسبب طبيعة المجتمع، وخوفا من انتقام الجاني من فرد آخر من أسرتها".

وفي ما يتعلق بجريمة العارضية، تقول الشويحان إن الضحية لم تبلغ الشرطة أبدا بتعنيفها، فيما علم عناصر الأمن بالجريمة بعدما سلم الجاني نفسه، كما قالت إن بلاغ السلطات كان وسيلة لمنع جريمة الأحمدية أيضا.

وفي السابع والعشرين من أغسطس الماضي، قتل رجل زوجته في منطقة العارضية ثم سلم نفسه إلى السلطات. ولم تعلن وزارة الداخلية تفاصيل الجريمة، لكن صحف كويتية، نشرت نقلا عن مصدر أمني أن الجريمة وقعت عقب خلاف عائلي بين الزوجين، وهما في العقد الثالث من العمر، حيث استل على أثره الزوج سكينا وانهال على زوجته طعنا حتى أرداها قتيلة.

وفي الثالث والعشرين من الشهر نفسه، طارد رجل زوجته ووالدتها بسلاح ناري في مدينة صباح الأحمدي وقتل والدة زوجته برصاصة في ظهرها.

ويدعو قانون حماية الأسرة، الذي أقره مجلس الأمة الكويتي في أغسطس 2020، إلى إنشاء لجنة وطنية لحماية الأسرة من شأنها أن تضع تدابير للتصدي لانتشار العنف الأسري في الكويت. كما نص القانون على وجوب خضوع المشاركين في قطاع حماية الأسرة للتدريب اللازم، وتفعيل دور ملجأ للعنف الأسري يقدم خدمات إعادة التأهيل والاستشارة للناجيات من العنف الأسري أيضا.

وفي ذلك الحين قوبل هذا القانون بالترحاب باعتباره انتصارا لإلغائه المادة 153 التي تعاملت مع جرائم الشرف على أنها جنحة يحكم فيها على الجاني، كحد أقصى، بثلاث سنوات سجن أو غرامة صغيرة. ورأى الخبراء أن كل شيء أفضل من تشريع جرائم الشرف.

وعلى الرغم من أن هذا القانون قد أقرّ منذ أكثر من عام، فإن حماية الأسرة لا تزال مجرد حبر على ورق، ولا يزال الإخفاق في حماية النساء من الوقوع ضحايا للعنف الأسري مستمرا بلا هوادة.

وكان غياب مثل هذه الحماية هو ما أنهى حياة فرح حمزة أكبر في وقت سابق من هذا العام. وكانت فرح قد قُتلت في أبريل بشكل مروّع على يد رجل كانت قد رفعت قضيتين ضده في السابق بتهمة الاختطاف والشروع في القتل. واصطدم الجاني فهد صبحي محمد الذي كان يطاردها ولم يكن يعرفها هي أو عائلتها، بسيارة فرح وخطفها وابنتيها وطعنها في صدرها قبل أن يلقي جثتها أمام المستشفى، وتركها هناك لتموت.

وشاركت دانا أكبر، شقيقة فرح أكبرومحاميتها، مقطع فيديو على وسائل التواصل الاجتماعي تقول فيه إنها حذرت المدعي العام عدة مرات من أن حياة أختها في خطر. وبحسب دانا، حاول مرتكب الجريمة اختطاف فرح وإيذائها في مناسبات عديدة. واعتقل مرتين ثم أفرج عنه بكفالة في كل مرة ثم قتل فرح.

وتسببت الجريمة النكراء في موجات صدمة في جميع أنحاء الكويت، مما أدى إلى احتجاج كبير على الرغم من أن الصيف كان على أشدّه، بعد ظهر شهر رمضان. ودعا المتظاهرون إلى إصلاح القوانين القائمة، ووضع آليات حماية أفضل لضحايا العنف وسن قانون حماية الأسرة فعليا.

وأدى الجدل الذي أعقب وفاة فرح إلى تنامي الحركة المناهضة للتحرش الجنسي التي برزت بالفعل في وقت مبكر من العام، عندما نشرت مدونة الموضة المؤثرة آسيا الشمري مقطع فيديو مؤثرا تعبّر فيه عن غضبها من الرعب من مطاردة الرجال للسيارة، وهو شكل شائع من المضايقات في الكويت. ودعت إلى آلية للإبلاغ عن التحرش الجنسي قائلة "إنها خطوة ضرورية في هذا البلد ولا يكفي أن تقول إنك ضده".

وانتشر الفيديو على منصات التواصل الاجتماعي، مما دفع العديد من النساء للتعليق وأدى إلى محادثات "حساسة ثقافيا" حول التحرش الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي.

بعد فيديو الشمري، أطلقت الدكتورة شيماء شامو حملة توعية على مواقع التواصل الاجتماعي تحت شعار "لن أسكت" وخلقت مساحة افتراضية آمنة أعطت النساء الفرصة لمشاركة شهادات مجهولة من التحرش أو الإساءة، وتشجيع المزيد من النساء على الكلام.

لكن الغضب الذي حدث والهاشتاغات المختلفة لم تسفر سوى عن وعود جوفاء قدمها العديد من أعضاء البرلمان. اقترح النائب السابق يوسف الفضالة (الذي استقال من البرلمان في أبريل) تطبيقا للهاتف المحمول برعاية الحكومة مصمم لتوثيق حالات التحرش وتسجيلها. واقترح النائب الدكتور عبدالعزيز الصقبي تعديل قانون العقوبات بإضافة عقوبات تصل إلى السجن لمدة عام وغرامة قدرها 3000 دينار كويتي. كما اقترح النائب عبدالله المضف إضافة إجراءات عقابية إلى قانون العقوبات بمهلة ثلاثة أشهر للسلطة التنفيذية لتفعيل هذه القوانين.

وبعد مرور ثمانية أشهر تقريبا، لم يُتخذ أي إجراء بشأن أي من المقترحات المذكورة أعلاه.

لكن في أواخر سبتمبر، أصدر وزير التجارة والصناعة المدير العام للهيئة العامة للقوى العاملة عبدالله السلمان توجيهات لإنهاء التمييز في القطاع الخاص وتجريم التحرش في مكان العمل. وتعدّ هذه الخطوة التي طال انتظارها واعدة نحو إنشاء بيئة عمل أكثر أمانا للمرأة. ومع ذلك، لا يزال هناك الكثير للقيام به.

مسؤولية حكومية

وأشار بيان صدر مؤخرا عن اللجنة البرلمانية لشؤون المرأة والطفل والأسرة المتكونة من الرجال فقط إلى أن قتل الإناث ليس مسألة تشريعية بل مسألة مجتمعية، وإلى أن منع العنف ضد المرأة يبقى مسؤولية حكومية. وليست هذه الاستجابة المقدّمة كافية بينما تشهد البلاد زيادة مقلقة في قتل الإناث.

> **على الرغم من أن قانون حماية الأسرة قد أقرّ منذ أكثر من عام، إلا أنه لا يزال مجرد حبر على ورق، ولا يزال الإخفاق في حماية النساء من الوقوع ضحايا للعنف الأسري مستمرا بلا هوادة**

وعلى الرغم من وجود برلمان غير صامت وصحافة حرة، تتخلف الكويت عندما يتعلق الأمر بسن تشريعات لحماية حياة نسائها. وبعد أكثر من عام وست قتيلات، ما زلنا نرى الموقف نفسه في البرلمان والمجتمع تجاه العنف ضد المرأة، وهي طريقة ملائمة للتغاضي عن هذه المأساة دون إدانة ومحاسبة المسؤولين.

وترتفع معدلات الجرائم العائلية بحق النساء في الكويت، لتصل إلى جريمتين في الشهر. هو رقم كبير بالنسبة إلى بلد صغير مثل الكويت حيث تتعرض النساء إلى القتل على يد الأخ في غالبية الحالات، نتيجة وجود خلافات أسرية ومحاولة بعض الإخوة فرض أسلوب حياة معين على أخواتهم.

تقول الناشطة في حقوق المرأة شيخة العلي "تشير الإحصاءات إلى ارتفاع عدد جرائم القتل تجاه المرأة داخل العائلة في الكويت بشكل كبير جداً. وقد وصل المعدل إلى جريمتين كلّ شهر يجري التأكد منهما، فيما توجد حالات أخرى يتم التستر عليها في المستشفى أو التلاعب بتقارير الطب الشرعي فيها". وتؤكد العلي أنّ تصاعد العنف ضدّ المرأة يعود إلى سببين، الأول شيوع الفكر التحرري بين النساء، ورغبة الكثيرات منهنّ في التخلص من قيود العائلة والقبيلة، وهي قيود تشمل التحكم في حرية الحركة، واختيار نوع الوظيفة، وغيرها. أما السبب الثاني فهو تصاعد القيم الذكورية في المجتمع، وما ينتج عنها من تحريض متعمّد للأخوة المراهقين على أخواتهم الأكبر سنا منهم.

وكان قانون الجزاء الكويتي يخفف الحكم على قاتل المرأة لدواع "أخلاقية" بالسجن ثلاثة أعوام وغرامة بقيمة 45 دولاراً، حيث كانت المادة 153 ملاذا لمجرمي الشرف.

وبدأت أول مطالبة بإلغاء المادة 153 عام 2005، عندما حصلت المرأة الكويتية على حقها السياسي في الترشح للبرلمان، فبدأت مجموعة ناشطات كويتيات بحملة للمطالبة بإلغاء مادة من القانون تخفف من عقوبة الرجل الذي يقتل امرأة تحت ذريعة "حماية الشرف".

وضمّت المجموعة العنود الشارخ وشيخة النفيسي ولولو الصباح وسندس حمزة وأميرة بهبهاني، وانضمت إليهن لاحقاً نوار البراك وشروق بورحمة وفرح سوري ونور المخلد.

وذكرت سندس حمزة، العضوة المؤسسة في حملة إلغاء المادة 153 والناشطة الحقوقية والعضوة المؤسسة في فريق "إيثار" التطوعي أنه بسبب المادة يمكن "لخلاف شخصي أن ينهي حياة امرأة، ويمكن للمجرم الإفلات من العقاب بذريعة أنها جريمة قتل للدفاع عن الشرف".

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

التونسية أنس جابر .. الحلم بات حقيقة

أيقونة التنس العربي تواصل كتابة التاريخ

ضمنت نجمة التنس التونسية أنس جابر صعودها إلى المراكز العشرة الأولى في التصنيف العالمي للاعبات التنس المحترفات، بعدما تأهلت إلى الدور قبل النهائي ببطولة إنديان ويلز لتنس الأساتذة. وستتواجد أنس جابر للمرة الأولى ضمن المراكز العشرة الأولى بالتصنيف العالمي في نسخته التي ستصدر غدا الاثنين. ويشكل الصعود إلى المراكز العشرة الأولى في التصنيف العالمي إنجازا غير مسبوق للاعبي التنس العرب، سواء على مستوى الرجال أو السيدات.

موهبة تسير على درب العالمية

تونس – واصلت اللاعبة التونسية أنس جابر كتابة التاريخ، إذ تأهلت للدور نصف النهائي من بطولة إنديان ويلز (1000 نقطة) بعد الفوز على الإستونية آنيت كونتافيت المصنفة 20 عالميا بمجموعتين دون رد بعد ساعة و26 دقيقة من اللعب.

وبلغت النجمة التونسية الدور نصف النهائي في بطولة من فئة 1000 نقطة لأول مرة في مسيرتها.

وأصبحت أنس أول امرأة عربية تصل إلى ربع النهائي في إحدى البطولات الكبرى لكرة المضرب في بطولة أستراليا المفتوحة لعام 2020، وهي أيضا اللاعبة العربية والأفريقية الأعلى تصنيفًا في تاريخ رابطة محترفات التنس على الإطلاق واللاعبة الأفريقية رقم 1 حاليا.

وصرحت أنس جابر بعد نهاية المباراة "هذه مجرد بداية للعديد من الأشياء العظيمة. أعلم أنني أحقق أهدافي الآن، لكني أشعر أن هناك الكثير من العمل الشاق الذي يتعين علي القيام به".

ومكن هذا التأهل أنس جابر من تثبيت إنجازها، إذ دخلت رسميا قائمة أفضل 10 لاعبات في التصنيف العالمي، دون النظر إلى نتائج بقية اللاعبات، كما باتت أول عربية (على مستوى السيدات والرجال) تبلغ هذا الإنجاز العالمي في التنس.

وأبدت التونسية أُنس جابر سعادتها الكبيرة قائلة "أشكر كل التونسيين وكل العرب على التشجيع الكبير، وعلى دعمهم المتواصل لي، أنا اليوم في 'التوب 10'، سعيدة جدا بهذا الإنجاز التاريخي، وإن شاء الله سأواصل وأفرح الجمهور التونسي والعربي". وتابعت "لقد كان حلما يراودني منذ الصغر وأنا الآن من بين الـ10 الأوائل في التصنيف العالمي ولذلك أنا سعيدة جدًا.. إنه شعور رائع، لقد عملنا بجد منذ سنوات".

وزادت اللاعبة البالغ عمرها 27 عاما "عندما تحدثت في نهاية الموسم الماضي قلت إنني أريد أن أكون من بين الـ10 الأوائل، شكك البعض فيّ وفي فريقي لكننا كذبنا هذه الشكوك".

وأتمت "أن نكون من بين الـ10 الأوائل يعني الكثير، لكننا لن نتوقف هنا فلا يزال أمامنا الكثير من العمل، سأفرح بهذا الإنجاز التاريخي مع فريقي بعد نهاية البطولة".

وحصدت أنس جابر خمس نقاط من 12 نقطة لكسر إرسال منافستها الإستونية لتحقق انتصارها الثامن والأربعين هذا الموسم، وهو إنجاز يفوق ما أنجزته أي لاعبة أخرى في بطولات المحترفات.

وكانت أُنس بلغت نهائي بطولة شيكاغو في وقت سابق من الشهر الحالي، كما أصبحت أول لاعبة عربية تفوز بلقب في بطولات المحترفات عندما نالت لقب برمنغهام في يونيو.

وعلقت جابر على تألقها اللافت في الأعوام الأخيرة قائلة "عندما بدأت لعب كرة المضرب كنت أرغب في الفوز ببطولة فرنسا المفتوحة لسبب ما. لقد فزت بها في فئة الشابات، وكنت أخبر أمي دائما بأنني أريد أن أكون الرقم واحد عالميا. كنت أؤمن دائما بذلك، لكن تحقيق الانتصارات في رابطة اللاعبات المحترفات هو حلم يتحقق، وآمل أن أتمكن من إلهام الجيل الجديد. ليس هناك الكثير من اللاعبين من بلدي يمارسون هذه اللعبة".

وتابعت "لذا، إذا كنت هنا اليوم، فيمكنكم فعل ذلك يا رفاق. اعملوا بجد، وثقوا بأنفسكم، وستكونون هنا".

مسيرة صعبة

وفتحت اللاعبة التونسية النار على الرعاة، وقالت "رفض الرعاة التعامل معي بسبب المكان الذي أتيت منه وهذا ليس عدلا، لم أفهم السبب من قبل وتقبلته، أنا فخورة بما أنا عليه الآن وبعدم اعتمادي على الآخرين". وختمت "ربما مر الجميع بمسيرة صعبة، لا أقول إنني واجهت الظروف الأصعب، لم أرد الاعتماد على رعاة أو شخص غير مهتم بالتنس أو الرياضة بشكل عام، هذا منحني الشجاعة للاستمرار وتحقيق أهدافي والآن أنا بين أول 10 مصنفات".

التقت لاعبة التنس التونسية على هامش مشاركتها في بطولة إنديان ويلز بإحدى أساطير التنس الحية الأميركية بيلي جين كينغ، وحصلت منها على إهداء خاص لكتابها الذي يوثق مسيرتها؛ حيث تم تكريم نجمة التنس التونسية من قبل بيلي جين كينغ التي حصدت خلال مسيرتها 12 لقبا في مسابقات الفردي للبطولات الكبرى و16 لقبا بزوجي البطولات الكبرى. وكتبت بيلي جين كينغ على الكتاب لأنس جابر "شكرًا على كونك مصدر إلهام لنا كلنا وخاصة العرب.. حافظي واستمري على هذا المنوال".

> أنس جابر تمكنت من تثبيت إنجازها، إذ دخلت رسميا قائمة أفضل 10 لاعبات في التصنيف العالمي، دون النظر إلى نتائج باقي اللاعبات

إنجازات كبيرة

حققت أنس جابر إنجازات كبيرة في مسيرتها ضمن ملاعب الكرة الصفراء، ولعل هدفها الأسمى هو أن تتوج بإحدى بطولات الغراند سلام، أو إحدى البطولات الأربع الكبرى.

وقد عملت النجمة التونسية جاهدة لتحقيق هذا الهدف؛ ففي بطولة أستراليا المفتوحة، خلال يناير 2020، تمكنت من الوصول إلى دور الثمانية، في أول إنجاز عربي في هذه المسابقة.

وفي طريقها لبلوغ هذا الدور أطاحت جابر باللاعبة الدنماركية كارولين فوزنياكي وهي اللاعبة التي سبق لها الفوز ببطولة أستراليا المفتوحة.

وفي بطولة ويمبلدون للتنس، خلال يوليو 2021، بلغت جابر دور الثمانية على حساب بطلات لهن وزن في اللعبة مثل الأميركية فينوس ويليامز والإسبانية غاربيني موغوروثا، إلا أنها خسرت مباراة ربع النهائي أمام البيلاروسية أرينا سابالينكا التي فازت آنذاك بمجموعتين على التوالي.

دخل اسم أنس جابر التاريخ بعد أن أصبحت أول لاعبة عربية تدخل قائمة العشر الأوائل في تصنيف المحترفات في رياضة كرة المضرب وتحقق ألقابا فيه.

إلا أنها تأمل أن تصبح مصدر إلهام للنساء العربيات في هذه الرياضة؛ فقد تأهلت اللاعبة الأكثر فوزا في العالم عام 2021 إلى ربع نهائي دورة إنديان ويلز الأميركية لتضيف إلى سجلاتها القياسية العربية إنجازا آخر، بعدما كانت أول لاعبة عربية تبلغ ربع نهائي إحدى البطولات الأربع الكبرى في بطولة أستراليا المفتوحة 2020 وفي بطولة ويمبلدون 2021.

بداية المشوار

يشار إلى أن قصة أنس، المولودة في قصر هلال في ولاية (محافظة) المنستير عام 1994، مع كرة التنس بدأت منذ أن كان عمرها 3 سنوات، عندما كانت والدتها تمارس هذه الرياضة كهاوية، ثم نقلتها إلى صغيرتها، لتتدرب بعدها تحت قيادة المدرب نبيل مليكة لمدة 10 سنوات من سن الرابعة إلى الثالثة عشرة. لكن عندما كانت في العاشرة لم تكن في ناديها ملاعب تنس، فكانت تتدرب فقط في ملاعب الفنادق القريبة.

إلا أنها ببلوغها الثانية عشرة انتقلت إلى العاصمة تونس للتدرب في المعهد الرياضي بالمنزه، وهي مدرسة رياضية وطنية للرياضيين الصاعدين في البلاد، كما تدربت لاحقا في بلجيكا وفرنسا بدءا من سن الـ16 عاما.

بدأت اللعب في رابطة التنس للشباب في أغسطس 2007، وفازت في هذا الصنف بـ11 لقبا فرديا وبلقب زوجي واحد، ثم وصلت إلى نهائيات الفردي مرتين للناشئات في دورة رولان غاروس الفرنسية عامي 2010 و2011، وفازت باللقب في النهائي الثاني.

وعام 2017 دخلت جابر إلى رابطة المحترفات، وأصبحت منافسة شرسة لكبرى اللاعبات في رياضة التنس، حتى أنها أزاحت لاعبات سبق لهنّ التتويج بألقاب كبرى، على غرار الأميركية فينوس ويليامز المتوجة في ويمبلدون 5 مرات.

كما حصلت على لقب أفضل سيدة رياضية عربية لعام 2019، وأصبحت أكثر لاعبة يتابعها التونسيون في الفترة الأخيرة بعد نتائجها اللافتة، وكذلك بعدما باعت مضربها لمساعدة بلدها في مواجهة وباء كورونا في شهر يوليو الماضي.

أمام نبوغها الكبير قام الاتحاد التونسي للتنس بتوفير جملة من الملاعب فضلا عن قاعة تقوية عضلات من أجل التدرب فيها على فترتين في اليوم الواحد، غير أن ضعف الإمكانات والحالة السيئة التي كانت عليها البنية التحتية منعاها من تطوير إمكاناتها.

وتبعا لذلك اضطرت جابر للهجرة إلى فرنسا حيث خضعت لبرنامج خاص تحت إشراف مدربين عالميين وذلك من أجل صقل موهبتها.

> جابر حققت إنجازات كبيرة في مسيرتها في ملاعب الكرة الصفراء، ولعل هدفها الأسمى هو أن تتوج بإحدى بطولات الغراند سلام

ولقيت جابر سندا كبيرا من عائلتها التي وفرت لها الإمكانات المادية اللازمة من أجل السفر والمشاركة في البطولات.

ولا تخجل جابر من الحديث عن المصاعب المادية الكبيرة التي عاشتها في بداية مسيرتها، وقالت في هذا الصدد في تصريح سابق لصحيفة "ليكيب" الفرنسية "لم تكن لدي أموال للسفر والتعاقد مع مدربين أكفاء، لولا عائلتي لما كان بإمكاني اللعب في المستوى العالي، إخوتي كانوا يقومون بتحويل الأموال إلي بصفة دائمة من أجل المشاركة في البطولات".

محطات في مشوار أنس جابر:

1994 – ولدت أنس جابر بولاية المنستير في تونس

1997 – في سن الثالثة، بدأت أنس ممارسة لعبة التنس رفقة والدتها

2010 – في سن الـ16 أنس تسافر إلى فرنسا وبلجيكا لتلقي تدريبات وتحترف لعبة التنس

2011 – في سن الـ17 أنس جابر أول امرأة عربية تفوز بإحدى البطولات الكبرى الغراند سلام بعد فوزها ببطولة رولان غاروس للناشئات

2017 – أنس جابر ضمن قائمة أفضل 100 لاعبة في العالم

2018 – أنس بين قائمة أفضل 60 لاعبة في العالم، ثم إلى المركز الـ51 في العام نفسه، كما تصل إلى نهائي بطولة موسكو

2019 – أنس جابر تحصل على لقب المرأة العربية للعام في الرياضة

2021 – في الثاني من أكتوبر، أنس الأولى عالميا (فتيات) للعام من حيث عدد الانتصارات، بـ44 فوزا

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

صراع المواهب يشعل السباق على صدارة البوندسليغا

قمة بايرن وليفركوزن تشدّ الأنظار في الدوري الألماني

يدخل الدوري الألماني كغيره من الدوريات الأوروبية مرحلة ساخنة يتجدد فيها الصراع على مركز الصدارة بين عملاقين كرويين هما زعيم الأندية بايرن ميونخ الألماني ومضيفه بايير ليفركوزن. لكن النكهة في هذه القمة المشوقة تبرز في الإضافة التي سيقدمها نجوم الفريقين وخصوصا الشباب منهم.

من كان الأقوى

برلين - يلوح الصراع على صدارة السباق في الدوري الألماني بنكهة شابة، حيث يلتقي بايرن ميونيخ وباير ليفركوزن في قمة كروية بطلاها اليافعان الدوليان في كل ناد وهما مهاجم البافاري جمال موسيالا والنجم الصاعد لليفركوزن فلوريان فيرتس.

ويحل الفريق البافاري ضيفا على ليفركوزن ضمن الجولة الثامنة من الدوري الألماني لكرة القدم (البوندسليغا).

ويتصدر البافاري جدول الترتيب برصيد 16 نقطة بفارق الأهداف أمام ليفركوزن، ولكن قبل المباراة من الممكن أن يعتلي بوروسيا دورتموند أو فرايبورغ في مفاجأة هذا الموسم قمة الترتيب خاصة أنهما يبتعدان عن الصدارة بفارق نقطة ويخوضان مباريتهما السبت.

وبالعودة إلى المباراة المنتظرة يبرز موسيالا كشاب نحيل بوجه طفولي، يلقبه زملاؤه "بامبي". ويعطي انطباعا رائعا بحيوية ورشاقة عندما يتلاعب بدفاع الخصم ويرهقه بمراوغات متمايلة.

> بايرن يريد العودة إلى طريق الانتصارات بعد تلقيه أول خسارة لكنه يواجه ليفركوزن الذي لا يريد أن يتراجع

ويقول مدرّبه الشاب أيضا يوليان ناغلسمان "لديه مغناطيس في قدميه، تعود الكرة دوماً إليه، هو رائع".

وبدوره يتحدّث لوثار ماتيوس حامل الرقم القياسي للمباريات الدولية (150) عن "نيمار الجديد".

وأطلق هانز فليك مدرب بايرن السابق والمنتخب الوطني راهنا، العنان لموهبة موسيالا على الساحة العالمية وجلبه من مركز تكوين "ريكورديستر" ومنحه بداياته في البوندسليغا ثم دوري أبطال أوروبا في 2020. قبلها بعدة أشهر في مارس، منحه يواكيم لوف، مدرب المنتخب آنذاك، أوّل ظهور دولي له مع "ناسيونال مانشافت" عن 18 سنة وشهر. كما شارك في تشكيلة ألمانيا ضمن كأس أوروبا حيث ظهر في دقائق قليلة.

أصبح الأسبوع الماضي أصغر هداف مع منتخب ألمانيا منذ 1910، بعمر 18 عاما و227 يوما، بعدما هزّ شباك مقدونيا الشمالية (4 – 0). وبجنسية مزدوجة، حمل سابقا ألوان المنتخبات العمرية لإنجلترا.

ويشهد زميله توماس مولر بالقول إنه "مميز، لديه ذهنيته القوية بالإضافة إلى موهبته"، واصفاً إياه بـ"الساحر".

وتابع المهاجم المخضرم "يعمل بجد، متواضع، لكنه واثق بنفسه. ليس مغروراً في غرف الملابس، لكنه يلعب بذكاء".

وموسيالا سيواجه الأحد فلوريان فيرتس حيث تصدّر ابن الثامنة عشرة غلاف مجلة "كيكر" وقد كتبت عنه "بدأت قصة هذا اللاعب للتو. لا شك بأنه سيصبح أساسياً في المنتخب".

ولا يكتفي فيرتس بدور الموهوب بل "يجسّد الفنان القادر على الإيذاء. لا يتراجع، ينطلق لخوض المبارزات بثقة وشراسة".

ويملك لاعب الوسط الهجومي أو الجناح الصغير (1.76 م)، رقما قياسيا في سجله: بمنحه ليفركوزن الفوز على ماينتس 1 – 0 في الخامس والعشرين من سبتمبر، أصبح أصغر لاعب في التاريخ يدرك حاجز العشرة أهداف في الدوري الألماني.

وسجّل بطل أوروبا للناشئين 2021 مع ألمانيا، أربعة أهداف إضافة إلى خمس تمريرات حاسمة هذا الموسم في ست مباريات.

استدعاه فليك في سبتمبر وأكتوبر للمرة الأولى إلى صفوف المنتخب. وفي 76 دقيقة لعب (أربع مشاركات كلاعب جوكر)، مرّر هدفين لزملائه كاشفا عن شخصية قوية.

شخصية نافرة في غرف الملابس أيضا، خلافا لموسيالا. ويروي زميله النمساوي في ليفركوزن يوليان باومغارتلينغر "منذ اليوم الأول بدأ بوضع لمساته. لا يهمّه آراء الآخرين. هو وقح، يتحدّث بحرية ولا يهمّه كيف يفكّر به الآخرون".

وسيحظى فيرتس الأحد بأفضلية على موسيالا: في ليفركوزن يملك فرصة مؤكدة للعب أساسيا. أما موسيالا، فيخوض تنافسا قويا مع أمثال لوروا سانيه، سيرج غنابري، الفرنسي كينغسلي كومان ومولر، في تشكيلة تضم أيضا الهداف القاتل البولندي روبرت ليفاندوفسكي.

وموهبته الخارقة لا تمنحه أيّ أفضلية في تشكيلة تنافسية يقودها شاب آخر هو المدرب يوليان ناغلسمان.

ويريد بايرن العودة إلى طريق الانتصارات بعد تلقيه أول خسارة في كل المسابقات هذا الموسم. وكان بايرن قد خسر في الجولة الماضية أمام آينتراخت فرانكفورت 1 – 2.

ويوجد لدى بايرن ميونخ طموح مختلف حيث يبحث الفريق عن تعزيز الرقم القياسي من خلال الفوز باللقب العاشر على التوالي للبوندسليغا.

ولكن الفريق بقيادة مدربه ناغلسمان تعرض للهزيمة الأولى قبل فترة التوقف الدولي حيث خسر بشكل مفاجئ أمام آينتراخت فرانكفورت 1 – 2 حيث لم يكن الفريق حاسما في الهجوم، ولم يكن حازما في الدفاع.

وقال روبرت ليفاندوفسكي مهاجم الفريق "يمكننا تعلم الكثير من هذه الهزيمة"، وأضاف ليون جوريتسكا لاعب وسط الفريق "يجب أن نلعب بشكل أفضل بعد انتهاء فترة التوقف الدولي".

ويحل ميونخ ضيفا على ليفركوزن الذي بدأ الموسم الحالي بشكل جيد تحت قيادة مدربه الجديد جيراردو سيواني، والذي لا يريد أن يتراجع فريقه مثلما حدث في الموسم الماضي.

وقال جوناثان تاه مدافع ليفركوزن "إنها مباراة كبيرة الكل متحمس لها. نريد أن نقدم نفس مستويات الأداء ونفس الالتزام اللذين ظهرا في المباريات الأخيرة".

ضمك يتحدّى الاتحاد في قمة سعودية مشوقة

الرياض - تتجه أنظار متابعي كرة القدم السعودية اليوم الأحد إلى ملعب مدينة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الرياضية في المحالة أين تقام قمة المرحلة الثامنة من الدوري بين ضمك الثاني والاتحاد المتصدر.

وسيكون الصراع على أشده بين الفريقين اللذين سيستفيدان من غياب النصر والهلال لانشغالهما بمسابقة دوري أبطال آسيا من أجل تحقيق رغبتها في تعزيز مركزيهما. واستهل الفريقان الموسم بخسارة في المرحلة الأولى، الاتحاد أمام مضيفه الفيحاء 0 – 1، وضمك أمام النصر 1 – 4، لكنهما استعادا توازنهما بسرعة فحقق الأول أربعة انتصارات متتالية منها خمس في مبارياته الست التالية ليتصدر برصيد 16 نقطة بفارق نقطتين أمام ضمك مفاجأة الموسم حتى الآن والذي كسب أربع مباريات بينها المباراتان الأخيرتان مقابل تعادلين. وتأجلت مباراة المطاردين المباشرين الجارين الهلال حامل اللقب والنصر (12 نقطة لكل منهما من ست مباريات) بسبب خوضهما الدور ربع النهائي لمسابقة دوري أبطال آسيا، حيث يلعب الأول مع برسيبوليس الإيراني، والثاني مع الوحدة الإماراتي في السعودية.

وكانت مباريات المرحلة قد افتتحت السبت بلقاء الباطن الثالث عشر مع الشباب الثامن، والفيحاء السادس مع الرائد الخامس، والطائي الحادي عشر مع أبها الخامس عشر، والأهلي الرابع عشر مع الاتفاق الثاني عشر.

ويبحث الأهلي عن فوزه الأول عندما يستقبل الاتفاق على ملعب مدينة الملك عبدالله الرياضية بجدة، في مباراة مهمة لكلا الفريقين اللذين يحتلان موقعين لا يتناسبان مع اسميهما وما يملكانه من إمكانات فنية.

وسجل الأهلي أسوأ بداية له في الدوري حتى الآن، حيث تعادل في خمس مباريات متتالية، قبل أن يتلقى خسارتين في آخر مباراتين كان آخرها الديربي أمام جاره الاتحاد.

ورغم افتقاد الأهلي لخدمات حارس مرماه الدولي محمد العويس بداعي الإصابة التي تعرض لها في الرباط الجانبي الداخلي للركبة اليسرى مع منتخب بلاده في التصفيات الآسيوية المؤهلة لمونديال 2022 في قطر وستبعده عن الملاعب لمدة شهرين، إلا أنه سيحاول تجاوز أزمة النتائج وتحقيق فوزه الأول الذي ربما يكون بداية الانطلاقة لتحقيق المزيد من الانتصارات.

ولا يختلف حال الاتفاق كثيرا عن مضيفه، فهو لم يحقق سوى فوز وحيد في المرحلة الأولى فتعادل بعده في أربع مباريات وخسر في اثنتين، رغم تكامل صفوفه وامتلاكه لأسماء مميزة في جميع الخطوط.

ويتطلع الاتفاق إلى استعادة توازنه والعودة بالنقاط الثلاث، خصوصاً وأن المباراة ستكون الأخيرة لمدربه الوطني خالد العطوي بعدما أوردت تقارير صحافية محلية توصل الإدارة إلى اتفاق مع مدرب أهلي جدة السابق الصربي فلادان ميلويفيتش لقيادته.

وقال العطوي في مؤتمر صحافي إن مهمته مع الاتفاق ستنتهي السبت، مضيفا أنه تم إبلاغه من قبل "الإدارة بعد الاجتماع معها بالتعاقد مع جهاز فني جديد، وأتمنى أن يصب هذا القرار في مصلحة النادي". وتابع "فخور بأن أكون المدرب السعودي الذي درب في أقوى بطولة عربية وآسيوية لعامين، والأرقام والإحصائيات تتحدث عن عملنا".

ويصطدم الباطن بضيفه الشباب عندما يستقبله على ملعبه بحفر الباطن في مباراة يدخلها الفريقان برغبة مشتركة وطموحات مختلفة.

فرصة للهروب

البحرين تشهد افتتاح موسم الفورمولا واحد

باريس - أعلن الاتحاد الدولي للسيارات (فيا) عن روزنامة موسم 2022 من بطولة العالم لسباقات الفورمولا واحد، وقد تضمنت 23 جائزة كبرى حيث ستكون البحرين أولها في العشرين من مارس وأبوظبي آخرها في العشرين من نوفمبر.

وغابت جائزة الصين الكبرى عن روزنامة 2022 القياسية من حيث عدد السباقات الذي كان 23 أيضا في الموسم الجاري لكن فايروس كورونا أدى إلى تقليص العدد إلى 22 سباقا.

وبرّر "فيا" سبب غياب جائزة الصين عن الروزنامة للموسم الثالث تواليا، بالقول في بيان "بسبب الظروف الوبائية المستمرة، لن يتم إدراج الصين في روزنامة 2022. ستتم إعادة الصين إلى الروزنامة بمجرد أن تسمح الظروف بذلك".

وكان الموسم الحالي الذي وصل إلى جولته السابعة عشرة (جائزة الأميركيتين في الرابع والعشرين من الشهر الحالي على حلبة أوستن في تكساس)، يتكون أيضا من 23 سباقا لكن تداعيات فايروس كورونا أدت إلى إلغاء سباقات أستراليا، الصين، كندا، سنغافورة واليابان.

وعوضت إدارة الفورمولا واحد و"فيا" هذه السباقات بإقامة سباقين على حلبة سبيلبرغ النمساوية، وإدراج جائزتي قطر والسعودية للمرة الأولى وجائزة هولندا التي سجلت عودتها إلى الفئة الأولى لأول مرة منذ 1985.

وبعد 16 جولة على الموسم الحالي، يتصدر سائق ريد بول الهولندي ماكس فيرستابن الترتيب (262.5 نقطة) أمام بطل العالم سائق مرسيدس البريطاني لويس هاميلتون (256.5 نقطة).

ومن المتوقع ألا تحسم الأمور حتى الجولة الختامية المقررة في أبوظبي في الثاني عشر من ديسمبر بعد المرور بسباقات الأميركيتين (الرابع والعشرين من أكتوبر) والمكسيك (السابع من نوفمبر) وساو باولو (الرابع عشر من نوفمبر) وقطر (الحادي والعشرين من نوفمبر) والسعودية (الخامس من ديسمبر).

> جائزة السعودية ستشكل الجولة الثانية من الموسم المقبل على أن تليها أستراليا التي غابت عن روزنامة العامين الأخيرين

وخلافا للموسم الحالي حيث ستكون الجولة قبل الأخيرة، ستشكل جائزة السعودية الكبرى الجولة الثانية من الموسم المقبل في السابع والعشرين من مارس على أن تليها أستراليا التي غابت عن روزنامة العامين الأخيرين بسبب كورونا، في العاشر من أبريل.

وستغيب جائزة قطر عن الروزنامة التي لا تزال غير نهائية بالنسبة إلى بعض الحلبات بانتظار توقيع العقد مع الفورمولا واحد (إيمولا الإيطالية وبرشلونة وسنغافورة وأوستن) أو المصادقة الفنية لفيا (ميامي).

وبحسب عقد الأعوام العشرة الذي وقع مع السلطات، ستعود جائزة قطر إلى الروزنامة اعتبارا من 2023 بعدما دخلت إلى روزنامة 2021 بحكم الظروف من أجل سد الفراغ الذي خلفه إلغاء جائزة أستراليا (كان مقرراً في بداية الموسم ثم أرجئ إلى الحادي والعشرين من نوفمبر قبل أن يُتخذ القرار بإلغائه بسبب قيود كورونا).

نيفيل يتكهن بوجهة صلاح بعد ليفربول

لندن - ينتهي عقد الدولي المصري محمد صلاح مع فريق ليفربول خلال صيف العام 2023، لكن نجم الفراعنة لم يصل إلى اتفاق حتى الآن بشأن التجديد، وهو ما فتح باب التكهنات أمام رحيله عن الريدز.

وتزايدت خلال الفترة الماضية رهانات النجوم الكبار الذين عبّر كل واحد منهم عن وجهة نظره بخصوص الوجهة التي سيسلكها صلاح في مشواره القادم.

وتوقع غاري نيفيل أسطورة مانشستر يونايتد أن يرحل صلاح عن ليفربول إلى واحد من ثلاثة أندية أوروبية كبرى. وقال نيفيل في تصريحات أبرزتها صحيفة "ميرور" البريطانية مؤخرا "لا أعتقد أن صلاح سيبقى في ليفربول حتى نهاية مسيرته. إنها وجهة النظر التي لديّ دائما، لكن قد أكون مخطئا".

وأضاف "الدوري الإنجليزي سيكون أضعف إذا غادر صلاح. أعتقد أننا عندما ننظر إلى كريستيانو رونالدو وديفيد بيكهام وكيليان مبابي، فإننا سنكتشف أن الأمر لا يتعلق بالمال".

وتابع "هناك مشروع وهناك شيء عليهم تحقيقه في مسيرتهم، وعليهم اللعب في أندية معينة، وتجربة أشياء معينة".

وواصل "أعتقد أن صلاح يجب أن يجرب اللعب مع ريال مدريد والتواجد في سانتياغو برنابيو، وبهذه المناسبة أرى أن الميرنغي سيعود".

ويعيش صلاح أفضل فتراته مع ليفربول خلال هذه الفترة وهو ما ترجمه عمليا على أرضية الميادين بتسجيله في كل مباراة يخوضها.

وقال نيفيل "أعلم أن الوضع ليس رائعا الآن في برشلونة وريال مدريد، لكن صلاح مثل اللاعبين الذين ذكرتهم. أعتقد أنه يجب أن يضع أحد هذه الأندية في سيرته الذاتية مع نهاية مسيرته".

وأضاف "أعتقد أن صلاح قام بعمل لا يصدق في ليفربول. لقد شعرت دائمًا أنه يريد اللعب مع باريس وريال مدريد وبرشلونة، وأعتقد أنه سيذهب ويحقق خطته، لكن قد أكون مخطئا".

من جهته علق بول سكولز أسطورة مانشستر يونايتد على وضع صلاح مع ليفربول خلال الموسم المقبل. وقال سكولز في تصريحات أبرزتها صحيفة "ميرور" البريطانية "انتقال صلاح إلى ريال مدريد أو برشلونة؟ الفريقان لا يحظيان بتقدير كبير الآن، كما كانا قبل عامين أو 3 أعوام".

وأضاف "إذا كان صلاح يريد أن يكون أفضل لاعب على هذا الكوكب، عليه البقاء في إنجلترا ومواصلة اللعب بقميص ليفربول".

وتابع سكولز "أفضل اللاعبين هنا في البريميرليغ. إنه أفضل دوري في العالم الآن، كما أنه يضم أفضل ثلاثة مدربين في العالم، مع أفضل الفرق".

وختم "إذا أراد صلاح أن يكون أفضل لاعب على هذا الكوكب، عليه البقاء هنا".

وذكرت تقارير أن ليفربول يتصدر السباق نحو التعاقد مع البلجيكي جيريمي دوكو نجم رين الفرنسي.

العرب
الأحد 2021/10/17
السنة 44 العدد 12212

«علّي صوتك».. فيلم مغربي ينقل واقع الأحياء الفقيرة

افتتح الفيلم المغربي "علي صوتك" عروض المسابقة الرسمية لمهرجان الجونة السينمائي، والفيلم الذي يتناول قضايا الفقر والهجرة والمشكلات الاجتماعية من المتوقع أن يحظى بأبرز جوائز المهرجان، كما تم ترشيحه مؤخرا لجوائز الأوسكار.

مخرج استثنائي

الجونة (مصر) – في أحدث أفلامه "كازابلانكا بيتس" أو "علّي صوتك" يعود المخرج نبيل عيوش إلى الأحياء الفقيرة في المغرب التي طالما سلط الضوء عليها في أفلام سابقة مؤمنا بأن فيها مواهب كامنة يمكن الاعتناء بها ودعمها لتتحول إلى طاقات إبداعية هائلة بدلا من السقوط في بئر الإحباط.

ويتناول الفيلم قصة مغني راب سابق يعيّن معلما في مركز لتنمية المواهب بأحد الأحياء الشعبية في الدار البيضاء حيث يلتقي بمجموعة من المراهقين يعيشون ظروفا اقتصادية صعبة مع تشتت أفكارهم غير الناضجة، لكنهم بمساعدة المعلم الجديد يحاولون التعبير عن أنفسهم بموسيقى الهيب هوب وتحدي مشكلاتهم الاجتماعية بشكل مختلف.

وافتتح الفيلم عروض المسابقة الرسمية لمهرجان الجونة السينمائي الجمعة في عرضه العربي الأول لكن دون حضور أي من منتجيه الذين أعلنت إدارة المهرجان في وقت سابق عن وجودهم بقائمة المدعوين.

والفيلم من بطولة أنس بسبوسي ومجموعة من المواهب الشابة تتراوح أعمارهم بين 12 و18 عاما. وبجانب الإخراج كتب سيناريو الفيلم نبيل عيوش بالتعاون مع زوجته الممثلة مريم توزاني.

ويبدأ الفيلم بمشهد دخول معلم الموسيقى إلى حي سيدي مؤمن بسيارته الصغيرة التي يتخذها منزلا متنقلا وهو يدخن سيجارة بمنتهى التململ بحثا عن موقع "مركز النجوم". وفي الختام يتكرر المشهد لكن المغادرة تكون على وقع موسيقى صاخبة في الخلفية تعكس الفارق الذي صنعه هذا الرجل في المكان خلال مدة قصيرة.

وما بين دخول الحي والخروج منه رحلة تمتد عبر 102 دقيقة تعتمد بشكل رئيسي على الحوار الدائر معظم الوقت بين المعلم وتلاميذه والأفكار المتبادلة، حيث يحاول حثهم على التعبير عن أنفسهم بكتابة كلمات الأغاني وتقديمها بكامل طاقتهم الصوتية والجسدية بدلا من الخوض في مشكلات مع آخرين يمارسون عليهم سلطات رقابية اجتماعية أو دينية.

ورغم أن الفيلم يدور داخل مركز للمواهب وتعليم الفنون، فإنه لم يوظف الأغاني والرقصات بشكل مبالغ فيه، ليقتصر دورها على التعبير عن مواهب التلاميذ وتقلب أمزجتهم في البداية ثم استخدامها لاحقا في التعامل مع الضغوط المحيطة بهم ومواجهة العنف ضدهم بالفن.

وتصل الأحداث إلى ذروتها عندما يعتزم المعلم تنظيم حفل لتلاميذه على مسرح المركز، لكن بعض سكان الحي الذي سبق وخرجت منه معظم العناصر المتطرفة التي نفذت هجوم الدار البيضاء الدامي عام 2003 يداهمون المكان وينهون الحفل، فيجد المعلم نفسه مضطرا للمغادرة حتى لا يُغلق المركز تماما.

ومع ترقب منتجي الفيلم لنتائج جوائز مهرجان الجونة السينمائي نهاية هذا الأسبوع، يتطلع المغاربة إلى ما هو أبعد من ذلك بعدما رشحه المركز السينمائي المغربي هذا العام للمنافسة على جائزة أفضل فيلم أجنبي في الدورة الرابعة والتسعين للأوسكار.

وعلى مدى ثمانية أيام يعرض مهرجان الجونة الذي يقام سنويا تحت شعار "سينما من أجل الإنسانية" أكثر من 80 فيلما من بينها 16 فيلما عربيا وعشرة أفلام تعرض عالميا لأول مرة.

وجاءت لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الروائية الطويلة برئاسة المنتج الأميركي روب آلين وعضوية كل من الممثلة المصرية منة شلبي والمخرج اللبناني جورج هاشم والمخرج الهندي كبير خان والأميركية سارة هوش المديرة التنفيذية لمهرجان غواناخواتو السينمائي.

ويتضمن برنامج مهرجان الجونة ثلاث مسابقات رسمية هي مسابقة الأفلام الروائية الطويلة، ومسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة، ومسابقة الأفلام القصيرة، بجانب البرنامج الرسمي خارج المسابقة، وبرنامج العرض الخاص الذي يقدم مجموعة من الأفلام الكلاسيكية التي لطالما حازت إعجاب الجماهير.

صباح العرب

عدلي صادق

شخص اسمه دحلان

عندما انزوت الصحف الورقية معلومة العناوين، أفلت عيار النشر وغابت ضوابطه وانتقل الناس إلى شاشات الحواسيب والأجهزة الذكية، واختلط الغث بالسمين، وتساوى في اللعب صغار الفتية والطاعنون في السن والحكومات.

الخبريات تتطاير، ويزاحم الملفق منها الخبريات الصحيحة، ويرتبك سياق الإبلاغ عند العرب. وفي المشرق، حظي رجلٌ معيّن يُدعى محمد دحلان بنصيب وافر من الحكايات ونقيضها. هو نائب منتخب بأعلى الأصوات في مدينته، وعضو لجنة مركزية منتخب عند حركته. كان دوره السياسي في بلاده هو مصدر أهميته، ثم اتسعت هذه الأهمية عندما أصبح شغل حكومات أخرى وشاغلها، أن تلاحقه بالخبريات التي لا تُخبر عن واقع، ولا تخفف حجم تأييد الناس للرجل.

الغالبية العظمى من هذه الحكايات تستحث السخرية والعجب، وكثيرها لا يستحق الرد، ولا أن يكترث له العقلاء. فكيف يكون الرجل مظنوناً فيه بتدبير انقلاب في بلد ضخم لم يكن من زواره سابقاً، ولا هو من هواة السياحة؟ وكيف يمكن لفلسطيني أن يحرك 21 جنرالاً وألوف الأساتذة الجامعيين ومثلهم من رجال الدولة والجنود؟

معايير القياس عند أصحاب غرف الذباب بدت مختلة، تتعاطى مع عنوان دحلان باعتباره إعصاراً، بينما الرجل لا يحكم ولا يقرّر في مصائر دول. فكل ما في شأنه أنه كمئات الملايين سواه لا يريد لجماعة الإخوان أن تحكم في أي بلد، لأن حكمها يمزق النسيج الاجتماعي ويؤسس لنزاعات أهلية مفتوحة ويطيح بالعدالة.

جماعة الإخوان في تركيا ومن ورائها الحكومة وبؤساء السلطة الفلسطينية ومن ورائهم أجهزتها المتخاصمة مع الشعب؛ هم الذين ينشرون الخبريات وينشغلون بها، والأجدر بهم أن ينشغلوا بمأزقهم وبمداواة الشروخ التي تتكاثر. فمتابعو الإعلام الإلكتروني يعلمون الرجل المستهدف، ليس المعادل الموضوعي لدول ذات سيادة لكي يخاطبوها بما يزعجها، وبالتواء. لذا فإن هؤلاء معنيون بدراسة علم الإشاعة لكي يفهموا أن الخبرية العرجاء تضر أصحابها ولا تفيدهم، وإنما تنزع صدقيتهم، ثم تزيدهم إحباطاً. فبلاءات دنيا العرب كثيرة، والجماعة المسكونة بأوهام الحكم تشهد في هذه الآونة نزاعاً داخلياً على المال والاستثمارات وأصولها، وليس هذا إلا من أعراض الفشل. والأدعى إلى التأمل أن فرضية العلاقة مع إسرائيل، وليس غيرها، تكمن في جوهر القصص السخيفة. فهي التي يهجم بها البعض على الإمارات ودحلان، علماً بأنها ديدن تركيا، وما الإخوان إلا حلفاء وضيوف عند ذوي علاقات مفتوحة وعلنية مع إسرائيل، وعند متصلين بها سراً منذ سبعين سنة!

الأطرف، أن غرف ذباب عباس الإلكترونية في فلسطين تخوض الغمار وتشتغل بالفرضية نفسها في مهاجمة الرجل البعيد، بينما هي من قريب تنخرط في العسس لصالح إسرائيل نفسها، بلا مروءة وبلا سياسة وبلا أيّ مردود. فكيف يمكن أن ينجح مثل هذا الزن في إقناع الناس، بغير بيّنة أو قرينة، بأن دحلان هو مصدر القلق على هذا الصعيد؟

ربما يكون مديرو غرف الذباب الفلسطينيون مدسوسين على رئيسهم نفسه، ومكلفين بدفع أطراف فلسطينية أخرى إلى إفراغ كل ما في جعبتها عن تجاوزات عباس وقراراته وخلفياتها. لكن ما في الجعبة من النوع الذي يحبط الناس. والعقلاء يفضلون التزام الحيطة والتكتم، لكي لا يزداد شعب فلسطين إحباطاً.

إن تَرك كل شيء والتركيز على محمد دحلان هو دليل خلوّ أوقات هؤلاء من جداول الأعمال الوطنية، بل هو دليل على رُعبهم من الانتخابات العامة وخوفهم من الإرادة الشعبية، هم - في الواقع - محقون في خوفهم!

المسبار لوسي يبدأ مهمته في اصطياد الكويكبات البعيدة

واشنطن – انطلقت السبت من فلوريدا المهمة "لوسي"، وهي الأولى لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا) نحو المجموعة المعروفة بكويكبات طروادة – المشتري في مستهل رحلة تستمر 12 عاما من شأنها السماح بفهم أفضل لطريقة تشكّل مجموعتنا الشمسية.

فقد أقلع الصاروخ "أطلس 5" المكلف بدفع المركبة السبت عند الساعة 05:34 (09:34 ت.غ) من قاعدة كاب كانافيرال.

وستكون هذه أول مركبة تعمل بالطاقة الشمسية تنفذ مهمة بعيدة إلى هذه الدرجة عن الشمس، وهي ستراقب في المجموع ثمانية كويكبات، أي أكثر من أي مهمة سابقة.

وقال مدير الوحدة العلمية في وكالة الفضاء الأميركية توماس زوربوكن خلال مؤتمر صحافي إن كلا من هذه الكويكبات "سيكشف جزءا من تاريخ مجموعتنا الشمسية وتاريخنا".

وستحلق المركبة أولا بحلول سنة 2025 فوق حزام الكويكبات الرئيسي الواقع بين كوكبي المريخ والمشتري. وبعدها تتوجه إلى سبعة كويكبات طروادة، آخر اثنين منهما سنة 2033.

وستقترب المركبة الفضائية من الأجرام المختارة إلى مسافة 400 إلى 950 كيلومترا فقط تبعا لحجمها وبسرعة تقارب 24 ألف كيلومتر في الساعة.

وتدور كويكبات طروادة التي يُعرف منها حوالي 7000 حول الشمس ضمن مجموعتين، واحدة تسبق كوكب المشتري والأخرى تليه.

وقال كبير الباحثين في هذه المهمة هال ليفيسون "أحد الأشياء المدهشة بشأن كويكبات طروادة هو أنها مختلفة تماما عن بعضها البعض، وخصوصا لونها فبعضها رمادي، وبعضها الآخر أحمر".

ويسعى الباحثون لدراسة تكوينها الجيولوجي وكثافتها الدقيقة وكتلتها وحجمها.

وستقوم المهمة "لوسي" أيضا بثلاث طلعات فوق الأرض للاستفادة من مساعدتها في الجاذبية، لتصبح أول مركبة فضائية تعود إلى محيط الكوكب من أقاصي النظام الشمسي.

وسُميت البعثة باسم "لوسي" في إشارة إلى أحفورة أسترالوبيثكس المكتشفة في إثيوبيا عام 1974، والتي ساعدت في إلقاء الضوء على تطور البشرية، فيما تسعى ناسا من خلال هذه المهمة لإلقاء الضوء على تطور المجموعة الشمسية.

استخراج 40 جسما غريبا من بطن نعامة

إسطنبول – استخرج أطباء في ولاية ديار بكر التركية (جنوب شرق) 40 جسما غريبا من سكاكين وولاعات وأنابيب بلاستيكية ومسامير من بطن نعامة عبر عملية جراحية أجروها لها بعد الاشتباه بابتلاعها سكينا.

واصطحب علي أوغراك النعامة "دجلة" إلى مستشفى كلية البيطرة بجامعة دجلة بولاية ديار بكر، بعد اشتباهه بابتلاعها سكينا.

وأثناء الفحص تبين للأطباء وجود مواد معدنية في جوف النعامة التي يبلغ عمرها عامين، ليقرروا إجراء عملية جراحية لاستخراج تلك المعادن.

وفي حديثه لوسائل إعلامية قال أوغراك إنه شغوف بتربية الحيوانات كالحمام والعصافير والنعام بمسقط رأسه بولاية شرناق جنوب شرقي البلاد.ولفت إلى أن جيرانه حذروه بسقوط سكين بين الأعشاب التي تتغذى عليها النعامة.

وقال "شعرت بالقلق لاحتمال ابتلاع النعامة السكين، وأتيت بها إلى ديار بكر من شرناق، حيث أجروا لها عملية جراحية، واستخرجوا من جوفها 40 جسما غريبا بدلا من سكين واحد".

بدوره أوضح البروفيسور صادق يايلا أن طاقما طبيا أجرى العملية للنعامة، واستخرجوا من معدتها معادن بأحجام مختلفة إلى جانب أنابيب بلاستيكية ومسامير وسكاكين.

تستعد الممثلة المصرية أمينة خليل لخوض تجربة الغناء للمرة الثانية، وأطلقت بالفعل أغنية بعنوان «مزيكا» بمشاركة فريق الموسيقى الإلكترونية «إي إسكويرد»، وتم طرح الأغنية بطريقة الفيديو كليب على قناتها بموقع اليوتيوب. وأكدت النجمة الشابة أنها تحمست للموسيقى الإلكترونية وقررت أن تشارك بالغناء في ثاني تجربة لها وأعجبت بفريق «إي إسكويرد» وقدمت معه الأغنية الجديدة.

معرض «غايم أوفر» يمزج الفن الحضري بالواقع الافتراضي

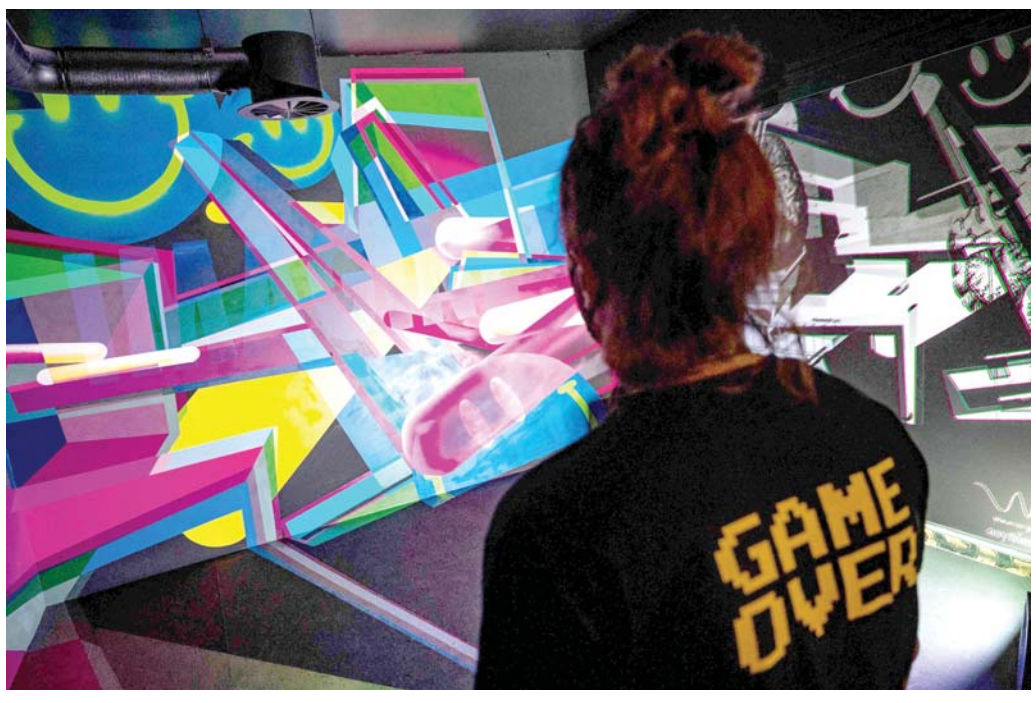

برلين – تستضيف برلين معرضًا للفنّ الحضري والافتراضي يدعو الزائر إلى الاستحواذ على الأعمال الفنية بفضل تقنية الواقع المعزز، فتقفز فجأة أمام الزوار رسومات "هالك" أو لوحات تغير ألوانها.

ويتيح معرض "غايم أوفر" أي "انتهت اللعبة" الذي يستمر حتى نهاية العام الاستحواذ على أعمال فنية لنحو 80 فنانًا من مجموعة "ذي ديكسونز" من خلال تطبيق خاص.

وبالإضافة إلى ارتباط اسم المعرض بعالم ألعاب الفيديو، يشير عنوان "غايم أوفر" إلى مبنى مساحته 2000 متر مربّع كان كازينو سابقاً.

وقال الفنّان ورن رينرز وهو أحد القيمين على المعرض لوسائل إعلامية "نحاول جمع الفنانين الجيّدين الذين سيواصلون تطوّرهم على مستوى الابتكار حتّى تأتيهم أفكار وسبل ابتكار جديدة في النهاية".

وتبرز الرسومات في هذا المكان البسيط بألوان متوهجة أكثر من غيرها بغية تشكيك الناظر إليها في العلاقة بالواقع.

إلّا أن المعرض ليس مجرّد عرض للفن الحضري بل أيضا فرصة للزوار لاكتشاف قطع فنية تناظرية بطريقة جديدة عبر تطبيق مصمّم خصيصًا لهذا المعرض.

وللقيام بذلك يكفي مثلا تصويب الكاميرا نحو شخصيات الشرائط المصورة بالأسود والأبيض التي تزيّن إحدى صالات المعرض لاكتشافها بثلاثة أبعاد.